

منتدى مكتبة الاسكندرية

أجاثا كريستي



Bibliotheca Alexandrina



0147021

المكتبة الثقافية

بيروت لبنان

ساعة الصفر

أهلاً بك

ساعة الصفر

المكتبة الثقافية

بيروت - لبنان

الفصل الاول

كانت الجماعة التي جلست أمام المدفأة كلها تقريباً من رجال القضاء والقانون .

كان هناك مارتنديل الحامي ورافاس لورد وكيل النائب العام ، ودانيز الحامي الشاب الذي برز اسمه في قضية كارستير ، والقاضي كليفر والحامي لويس أحد صاحبي مكتب لويس وترنش الحاميين ، ومستر تريفز المعجوز الذي ناهز الثمانين .

وكان تريفز هو أبرز عضو في مكتب كبير للمحاميين ، واشتهر بأنه حسم كثيراً من القضايا الدقيقة خارج المحكمة وبأنه من أكبر الاختصاصيين في عالم الجريمة ، وعلى الرغم من انه اعزل العمل منذ مدة طويلة ، فإنه لم يكن في المجلة كلها رجل يحترم رجال القضاء والقانون آراءه كما يحترمون رأيه .. كان اذا تكلم صمتت جميع الأصوات ، وأرهفت كل الأذان .

* * *

وكان حديث الجماعة التي جلست أمام المدفأة في ذلك المساء يدور حول قضية

قتل كثر فيها اللفظ في الأيام الأخيرة و فرغت محكمة جنابات (أولد بابلي) في ذلك اليوم من نظرها ، وأصدرت فيها حكماً ببراءة المتهم . فتناولت الجماعة القضية بالتحليل والتعقيب والت نقد الفني ، واتفقت الآراء على ان الادعاء أخطأ حين اعتمد كل الاعتماد على شاهد واحد. فهياً بذلك للدفاع فرصة أكبر ، وان الدفاع عرف كيف يستغل شهادة الخادمة . وان القاضي بتمور لحص وقائع القضية تلخيصاً لا غبار عليه . ولكن الضرر كان قد حدث فملاً .. فان المحلفين كلوا مقتنعين بصدق الخادمة ومق اقتنع المحلفون بأمر تعذر تحويلهم عنه ...

أما شهادة الطب الشرعي فكانت كالمادة مجموعة من الألفاظ الغريبة والعبارات المعقدة . لان الأطباء الشرعيين لا يحددون على الأسئلة أبداً بكلمة (نعم) أو (لا) وانما يضيفون عبارات من شأنها ان تلبيل المستمع . مثل قولهم :

« . هذا يمكن حدوثه في ظروف معينة »

أو قولهم :

« هذا جائز لو اننا راعينا كذا » .

وهذات المناقشة شيئاً فشيئاً ، وخفتت الأصوات ، وأحسوا جميعاً في لحظة ما بان هناك صوتاً لم يسمعه ، وبدأت الأنظار تتجه نحو مستر تريفز .. ولم يكن هذا قد اشترك في الحوار ، فبات واضحاً ان الجماعة تنتظر الكلمة الحاسمة الأخيرة من فم أبرز أعضائها وأصوبهم رأياً .

وكان مستر تريفز يمسح نظارته وهو شارد الذهن حين تنبه الى صمتهم فنظر اليهم بحدة وقال :

— ماذا قلتم ؟ هل وجهتم إلي سؤالاً ؟ .

— كنا نتحدث عن قضية لامورن يا سيدي .

— آه . نعم . نعم وأنا كنت أفكر في هذه القضية أيضاً .
فصمتوا جميعاً وارهقوا آذانهم ، فقال تريفز وهو لا يزال يمسح زجاج
عونيّاته :

— ولكن افكاري جنحت الى الخيال .. ولعل السبب انني تقدمت في السن
.. ان من حق الإنسان في مثل سني ان يمنح الى الخيال احياناً .
فارتسمت الحيرة على وجه المحامي لويس ولكنه قال :
— طبعاً .. طبعاً يا سيدي .

فقال تريفز :

— لقد كنت أفكر في القضية .. لا من حيث وجهات النظر القانونية التي
أثيرت فيها ، وهي وجهات نظر جدية بالاهتمام ، ولو قد صدر حكم مختلف ،
لكانت هناك أسباب قوية تميز استثلافه .. وانما كنت أفكر فيها من حيث
الأشخاص الذين لعبوا دوراً فيها .

فبدت الدهشة على وجوه المستمعين . ذلك ان أحداً منهم لم يفكر في
هؤلاء الأشخاص الا من حيث صدقهم او كذبهم كشهود .. ولم يجرؤ أحدهم على
التفكير في المتهم .. وهل هو بريء حقاً كما قالت المحكمة او أنه مذنب .

ومضى تريفز يقول :

— كنت أفكر في الادمين باحجامهم المختلفة ، واشكالهم المتباينة ،
وعقلياتهم المتنافرة .. لقد جاؤا من كل مكان . من لانكشاير .. ومن
اسكتلندا .. وجاء صاحب المطعم من ايطاليا ، وجاءت غرب انكلترا .
وانصهروا جميعاً في بوقه الأحداث .. وسجى بهم جميعاً في النهاية الى محكمة
الجنايات في لندن . في يوم أغبر من أيام شهر نوفمبر .

لقد قام كل منهم بدوره الصغير . ثم اتخذت هذه الأدوار جميعاً في النهاية
صورة قضية أمام محكمة الجنايات .

وصمت قليلا ، وأخذ يدق ركبته بأنامه ثم استطرد قائلا :
- انني أحب القصة البوليسية الجيدة . ولكن القصص جميعا تبدأ بداية
خاطئة .. انها تبدأ بجريمة القتل . في حين ان جريمة القتل هي النهاية .. أما
بداية القصة فأنها قبل ذلك بكثير .. حين تنهى الأسباب وتبدأ الأحداث
التي تسوق افاسا معينين .. الى مكان معين في ساعة معينة من يوم معين .
اليكم مثلا شهادة الخادمة في قضية اليوم ، لو لم تخطف الطاهية عشيقها لما
ترك عملها الأول لتلتحق بخدمة اسرة لامورن وتصبح شاهدة النفي الرئيسية
في القضية .

وذلك الخادم المدعو جوزيبي انطونيلي . لقد جاء من ايطاليا خصيصا
ليعمل مكان أخيه حتى ينعم أخوه باجازة قصيرة ..

وقد كان الأخ ضعيف البصر ، فلم يحصل على اجازته لما رأى ما رآه
جوزيبي انطونيلي خلال الفترة القصيرة التي قضاها في خدمة الأسرة ..
ولو لم يشغل الشرطي بمنازلة الطاهية بالمنزل رقم ٤٨ لما غاب عن دركه
ساعة وقوع الجريمة ..

كل هذه الأحداث الصغيرة . التي بدأها أشخاص مختلفون ، في اماكن
مختلفة وأوقات مختلفة .. قد تصاعدت وتبلورت ، وانتهت الى ما اسميه
(ساعة الصفر) .

وفي هذه اللحظة ، مرت يحسده رعدة سريعة فقال قائل :

- هل تشعر بالبرد يا مستر تريفز ؟

- كلا .. كلا .. يبدو ان أحدهم مشى فوق قبوري كما يقولون . على كل

حال أظن ان الوقت قد حان لكي أعود الى بيتي .

وأوما برأسه تحية للجميع وغادر الغرفة وهو يشي بخطى بطيئة .

* * *

ومرت فترة صمت طويلة قبل ان يقول رافاس لورد وهو يهز رأسه :

— مسكين مستر تريفز .. لقد أوهنته الشيخوخة .

فقال القاضي السير ويليم كليفر

— أنه رجل ذو عقل جبار .

فقال لورد

— أعتقد أنه يعاني مرضاً في القلب ، وقد يسقط ميتاً في أية لحظة .

فقال لويس

— انه يعني بنفسه أشد العناية

* * *

وفي هذه الأثناء كان مستر تريفز يستقل سيارة فخمة ، ذهبت به الى بيت في حي هاديء .. وهناك خف كبير الخدم لمساعدته على خلع معطفه .. وسار تريفز بعد ذلك الى غرفة المكتبة . حيث كانت النار تتلظى في المدفأة ..

وكان فراش تريفز يحتل ركناً في قاعة المكتبة ، فقد حرص الرجل على الا يرقى السلم الى الطابق الأول نظراً لحالته الصحية .

وجلس الرجل أمام المدفأة وشرع في قراءة الرسائل التي وردت اليه في ذلك اليوم .

وكان فكره لا يزال مشغولاً بالنظرية التي أدلى بها في قاعة النادي .

فقال لنفسه

— من يدري . لعل هناك الآن مأساة .. او جريمة قتل في مرحلة الاعداد

. لو انني الآن بسبيل كتابة قصة بوليسية لبدأتها برجل متقدم في السن ..

يقرأ رسائله أمام مدفأة ويتجه دون ان يدري - نحو ساعة الصفر .

وفض احدى الرسائل .. وألقى نظرة سريعة على مضمونها ، ويبدو أنه وجد فيها ما رده من عالم الخيال الى دنيا الحقيقة ، فقد تقلص وجهه فجأة وقال :
- هذا أمر مزعج حقاً ا . أ يحدث ذلك بعد كل هذه السنين ؟ . لقد قلبت مشروعاتي رأساً على عقب . .

الفصل الثاني

ابطال المأسة

١١ يناير

تحرك الرجل في فراشه بالمستشفى وكنتم انه توجع ، كادت ان تفلت من فمه .
ونهضت الممرضة المشرفة على عنبر المرضى من مقعدها ، واقتربت من فراش
الرجل وأعادت تنظيم وسائده ، وحركت جسد الرجل ليستقر في وضع مريح
وتتم الرجل بكلمة غير واضحة على سبيل الشكر .
كان يشعر بمزيد من الغضب والمرارة . ويلمعن في سره تلك الشجرة المجيبة
التي نمت تحت الربوة فلم يفتن الى وجودها ، ولعن أولئك العشاق المغفلين الذين
يتحدون البرد والصقيع لينعموا بالخلوة فوق ربوة تطل على البحر .
لولا تلك الشجرة اللينة وأولئك العشاق المحقق لانتهى كل شيء .
لم يكن الأمر سيكلفه أكثر من قفزة الى الماء المتلج العميق ومقاومة وجيزة
.. ثم تأتي الغيبوبة ، وتنتهي حياة عقيمة لا معنى لها ولا هدف ، ولا قيمة ..
والآن . ابن هو ؟ .
انه طريق الفراش في مستشفى ومصاب بكسر في أحد ضلوعه . ومن
المحتمل جداً ان يقدم للمحاكمة بتهمة محاولة الانتحار .

قبحهم الله !. انها حياته هو .. أليس كذلك ؟
ولو قد نجحت محاولته .. لواروه التراب بكل الاجلال والاحترام ،
باعتباره انساناً بائساً فقد عقله ..
فقد عقله حقاً ا .

انه لم يكن في وقت ما أعقل مما كان حين ألقي بنفسه من فوق الروية
لتلقفه تلك الشجرة اللعينة وتكسر ضلعه .

وأقدمه على الانتحار كان الشيء الوحيد المعقول الذي يجب أن يفعله رجل
في مثل مركزه . رجل اعتلت صحنه وهجرته زوجته ، وفقد عمله ،
وأصبح بلا مال او صعة او أمل .

والآن .. ها هو في موقف يبعث على السخرية .. وسوف ينجم عليه
القاضي باللائمة لانه فعل الشيء الوحيد المعقول بحياته التي هي ملك خاص
له وحده .

وأفلتت من فمه أنة عميقة فأسرعت اليه الممرضة مرة أخرى ..
كانت في مستقبل العمر ، ذات شعر أحمر ووجه لا يعبر عن شيء .
سألته :

— هل تتألم كثيراً يا ماستر ماكويرتر ؟.

— كلا .

— سأعطيك عقاراً منوماً .

— كلا .. لا تفعل .

— ولكن .

— أظنني انني لا أستطيع احتمال بعض الألم والأرق ؟.

فارتسمت على شفيتها ابتسامة رقيقة وقالت :

— لقد سمح الطبيب بأن تتناول عقاراً منوماً .

— لا يعني الطبيب وما يسمح به .

فنظمت الممرضة الأغلبية ووضعت كوباً من عصير الليمون على المائدة الصغيرة يجوار الفراش ، فقال وقد أحسن بالحجل من خشونته :
- آسف .. فقد كنت فظلاً .
- لا عليك .

وضايقه أنها لم تعباً قليلاً او كثيراً بنخشونته وفوبات غضبه .. وغاب عنه ،
انها كمرضة ، ترى من واجبها أن تتأى بنفسها عن مثل هذه الانفعالات ..
وانها تعامله كريض .. لا كرجل .
واستطردت قائلة :
- لا عليك .. ستكون في حالة أفضل غداً صباحاً ..

فصاح :
- تباً لكنّ أيتها الممرضات .. أنكنّ مجردات من كل شعور انساني .
- نحن أعرف منك بمصلحتك ..
- ما يغيظني منكنّ .. ومن المستشفى .. ومن الدنيا كلها .. هو التدخل
المستمر في شؤون الغير .. بدعوى انكنّ تعرفن مصلحتهم اكثر منهم ؟
اني حاولت الانتحار .. هل تعلمين ذلك ؟

- نعم .
- ولا شأن لأحد بي سواء ألقيت بنفسي من فوق رهوة أو تحت قطار ..
أن صلتي بالحياة قد انتهت تماماً ..

فقلبت شفتها ولم تجب .
صاح : - لماذا لا أستطيع ان أقتل نفسي متى شئت ؟
- لأن ذلك خطأ .
- لماذا ؟

فنظرت اليه في ارتياب ، ولم تجد ما تعبر به عن شعورها ولكنها قالت
ببساطة :

- على الانسان أن يعيش سواء أراد أو لم يرد
- وماذا يجعلك أنت تعيشين ؟
- لعلك هناك من هو بحاجة الي ..
- انني أختلف عنك في ذلك . فليس في الدنيا كلها شخص واحد همه ان
أعيش أو ان اموت .
- أليس لك أقارب ؟ . أليس لك أم أو اخت ؟
- كلا .. كانت لي زوجة هجرتني .. وبحق .. وجدت انني إنسان
ثاقه لا فائدة منه .
- ولكن من المؤكد أن لك أصدقاء ؟

- لست الرجل الذي يأنس اليه الاصدقاء .. اصعي الى ابنتها الممرضة ،
سأروي لك قصة ، انني كنت رجلاً سعيداً في وقت ما ، كانت لي وظيفة
طبية ، وزوجة جميلة . وذات يوم وقع حادث سيارة .. كان صاحب العمل
يقود السيارة ، وكنت راكباً فيها معه . فطلب مني أن اشهد بأنه كان يقود
السيارة بسرعة أقل من ثلاثين كيلو متراً عندما وقع الحادث .. والحقيقة انه
كان يقود بسرعة تزيد على خمسين كيلو متراً .. ولم يسفر الحادث عن مقتل
أحد ، ولكنه أراد أن يكون موقفه سليماً أمام شركة التأمين .. غير انني
رفضت أن اشهد بما أراد ، رفضت أن اكذب ، لأنني أمقت الكذب .
- أظن أنك كنت على حق .

- أتظنين ذلك ؟ ولكن ما قولك في ان أصراري على الحق افقدني وظيفتي ا
لقد حنق على صاحب العمل ففصلني وبذل قصارى جهده ونفذه لكيلا
أحصل على عمل آخر .. وضاقت زوجتي ذرعاً بتعطلي فهربت مع رجل من
اصدقائي كان يشغل وظيفة طبية وابتظره مستقبل باهر . بينما كنت أنا
أتدهور باستمرار ، قادمته الخمر ، وأضعت بذلك كل فرص العمل ، وانتابني
الأمراض ، وقال الطبيب انني لن استرد صحتي ، فلم أجد بعد ذلك ما أعيش

من أجله ، وكان أبسط حل وأيسره ، أن التخلّص من حياة لا جدوى منها
لأحد .

فغمضت الممرضة قائلة :

— من أدراك ا .

فضحك .. أضحكك عنادها الساذج .

قال لها :

— يا بنيّ المزيّزة .. ما فائدتي الآن لأيّ انسان ؟ .

فأجابته بشيء من الارتباك :

— من أدراك ؟ . قد تفيد أحداً يوماً ما ..

— يوماً ما ؟ .. لن يكون هناك يوم ما .. وفي المرة القادمة سأكون

حريصاً على ألا أفشل .

— في المرة القادمة ؟ .. كلا انك لن تقدم على الانتحار مرة أخرى .

— ولم ؟ ..

لأن الناس قلما يقدمون على الانتحار مرتين ..

فهم بأن يحتاج ، ولكن أمانته الفطرية منعه من الكلام . وراح يتساءل ..

هل كان في نيته حقاً ان يعيد الكرة ؟ ..

وشعر فجأة بأنه لن يستطيع .. لغير ما سبب .. او ربما كان المصيب ما

قالت الممرضة بحكم خبرتها .. وهو ان الناس قلما يقدمون على الانتحار

مرتين .

بيد انه أراد أن يرغمها على الاعتراف بحقه في الانتحار من حيث المبدأ .

قال : على كل حال فان من حقي أن افعل بمايأتي ما أريد .

قالت : ليس ذلك من حقل .

— ولم أيتها الفتاة المزيّزة ؟ .

فاحمر وجهها وارتبكت لحظة يسيرة ، ولكنها ما لبثت ان قالت :

— انت لا تفهم .. ان الله قد يريدك لأمر ما .

فبغت ، ولكنه لم يشأ أن يززع إيمانها الصبياني وقال ساخراً :
- لعله يريدني على أن امسك يوماً ما بجواد جامح ، فامنعه من أن يسحق
طفلاً صغيراً ذهبي الشعر .
- ان وجودك في مكان معين . في وقت معين .. حق ولو لم تفعل شيئاً ..
قد يؤدي ..

وتلعثت ، وازداد وجهها إحمراراً ، وأردفت :
- لا أستطيع التعبير جيداً .. انني اعني ان مجرد وجودك في مكان ما
في وقت ما حق ولو لم تفعل شيئاً قد يكون في ذاته عملاً عظيم الأهمية دون
أن تدرك .

١٤ - فبراير :

لم يكن بالفرقة سوى شخص واحد ، وكان الصوت الوحيد المسموع ...
هو صوت القلم الذي يكتب به ذلك الشخص على ورقة أمامه ..
ولم يكن هناك من يقرأ الكلمات التي كتبها .. ولو كان هناك من يقرأها
لما صدق عينيه .. لأن ما كتبه ذلك الشخص كان مشروعاً واضحاً مفصلاً
لارتكاب جريمة قتل .

* * *

وهناك ظروف يشعر فيها الجسد بأن هناك عقلاً يحكمه ويسيطر على أعماله
وحركاته . وظروف أخرى يشعر فيها العقل بسيطرته على الجسد وبقدرته
على تسخيرها في تنفيذ أغراضه .

وقد كان الشخص الذي نحن بصدده يمر بالحالة الثانية .
كان مجرد عقل جبار له هدف واحد .. هو تدمير انسان آخر ..

ولتحقيق هذا الهدف ، راح ذلك الشخص يضع على الورقة خطة محكمة
مرسومة بعناية ، ومحسوبة فيها حساب جميع الاحتمالات الممكنة .. وععددًا
فيها الزمان والمكان والضحية .

ورفع الشخص رأسه ، وأمسك بالورقة وقرأها بعناية ... وارتسمت على
شفثيه ابتسامة شيطانية .. لا يمكن ان تكون ابتسامة انسان عاقل تمامًا .

وأعاد الشخص تلاوة الورقة .. واكتشف انه اغفل التاريخ .. فتناول
القلم وكتب تاريخ يوم في شهر سبتمبر .. ثم فقه ضاحكًا ، ومزق الورقة .
والقى بأجزائها في الموقد وظل يراقبها حتى احترقت تمامًا .
احترقت الورقة .. ولكن الحطة بقيت في عقل صاحبها .

٨ - مارس :

جلس المفئس بائل الى مائدة الافطار وبيده الرسالة التي قدمتها اليه زوجته
وهي تبكي .

لم يبد عليه اي انفعال ..

كان وجهه دائماً جامداً لا يعلوه أي تعبير ، وكأنه نحت من خشب .

قالت زوجته وهي تنشج بالبكاء :

- لا أستطيع أن اصدق ان سيليفيا تفعل ذلك

كانت سيليفيا أصغر اولادها الخمسة .. وهي في نحو السادسة عشرة من
عمرها ، وطالبة بمدرسة بالقرب من (ميدستون) . وكانت الرسالة من مس
أمفري ناظرة المدرسة المذكورة .. وقد كتبت بوضوح وأدب ولباقة ، وجاء
فيها انه حدثت بالمدرسة في المدة الأخيرة عدة مرقسات صغيرة حيرت ادارة
المدرسة ، ثم اتضحت الأمور أخيراً واعترفت سيليفيا بائل بالسرقة ، وان
الناظرة تود مقابلة مستر بائل وزوجته في أقرب فرصة لبحث الموقف .

وطوى المفتش باتل الرسالة ووضعها في جيبه وقال لزوجته :
- دعي الأمر لي يا ماري .
ونفض من مكانه ودار حول المائدة ، وريت على كتف زوجته واستطرد
قائلا :
- لا تنزعجي ايتها العزيزة .. سيكون كل شيء على ما يرام .

* * *

وبعد ظهر يوم ذلك اليوم ، اجتمع المفتش باتل بمس أمفري في مكتبها .
وكانت مس أمفري مربية ناجحة ، ذات شخصية قوية ، وثقافة عصرية
واسعة .

قالت للمفتش في معرض الحديث الذي دار بينها :
- المهم هو ان نعالج الموضوع بحكمة . وان نضع نصب أعيننا مصلحة
الفنأة وحدها ، إذ لا يجب ان يتأثر مستقبلها أو حياتها بحال ، او ان تشعر
في أي وقت بعقدة الذنب ، وإذا وجه اليها لوم أو تعنيف على الإطلاق فيجب
ان يكون بلباقة .. وبأقل قدر ممكن .

وينبغي قبل كل شيء ان نعرف حقيقة الأسباب الكامنة وراء هذه السرقات
الصغيرة .. قد يكون أحد هذه الأسباب شعورها بركب نقص ، فانها ليست
بارعة في الألعاب الرياضية . ولعلها أحست برغبة خفية في ان تلمع في مجال
آخر ..

ولذلك يجب ان نعمل بحذر شديد .. وقد رغبت في مقابلتك أولاً على
انفراد لكي اوصيك بالرفق بها ، واني أكرر ما قلته أولاً ، ان أهم شيء هو
التوصل الى معرفة الدوافع الخفية وراء هذه السرقات الصغيرة .

فأجاب الرجل في هدوء ، وهو يقيم فائزاً المدرسة بإحدى نظراته الفاحصة :

- انني ما جئت إلا لذلك .
- لقد عاملتها بكل عطف ورفق .
- هذا كرم منك يا سيدتي .. حبذا لو رأيته الآن إذا لم يكن هناك مانع .
فرافقته الى غرفة صغيرة ، وقالت له انها ستُرسل اليه ابنته . وعندما همت
بمغادرة الغرفة ، استوقفها باتل قائلاً :
- لحظة يا سيدتي .. كيف عرفت ان سيلفيا هي المسؤولة عن السرقات ؟ .
- عرفت ذلك بوسائلني السيكولوجية .
- السيكولوجية ؟ ولكن أين الأدلة يا مس أمفري .
- انني أعرف ما تعني يا مستر باتل . انك تطلب أدلة بالمعنى المتواضع عليه
في مهلك كشرطي .. ولكن الوسائل السيكولوجية والتحليل النفسي اصبحا
شيئاً معترفاً به في علم الجريمة .. واؤكد لك انه لم يحدث أي خطأ . أضف
الى ذلك ان سيلفيا اعترفت بكل شيء بمحض ارادتها .
- نعم .. نعم .. أعلم ذلك ... انما اردت أن أعرف كيف استدلت
عليها ..
- عندما تفافقت حوادث السرقة دعوت الطالبات وطرحته عليهن
الحقائق .. وتفرست في وجوههن وأنا أفعل ذلك . وفوجئت بالتعبيرات التي
ظهرت واضحة على وجه سيلفيا .. كانت تعبيراتها تم عن الارتباك والاحساس
بالذنب فعرفت على الفور انها المذنبة ولكنني لم اواجهها باللائمات وإنما اختبراً
بسيطاً عن دلالات الألفاظ .
فهرز باتل رأسه دلالة على انه لم يفهم . ونظرت اليه مس أمفري وترددت
لحظة ثم غادرت الغرفة .

* * *

وعندما فتح باب الغرفة مرة أخرى ، كان باطل يطل من إحدى النوافذ ،
فنظر وراءه ببطء وأبصر بابنته ..

كانت طويلة ، سمراء ، وعلى وجهها آثار الدموع قالت في خجل :
— هانذا يا أبي .

فنظر إليها باطل طويلًا وهو شارد العقل ، ثم تنهد وقال :
ما كان ينبغي أن الحقلك بهذه المدرسة .. ان ناظرتها امرأة حمقاء ..
فنسيت الفتاة متاعبها وتملكتها الدهشة وهتفت :

— مس أمفري ؟. انها رائحة .. الجميع يقولون ذلك .

— إذن فهي ليست حمقاء تمامًا ، ما هامت قد استطاعت ان تترك في
نفوسكن هذا الانطباع .. وعلى كل حال فان هذه المدرسة لا تلائمك .. رغم
ان ما حدث لك هنا كان يمكن ان يحدث في اية مدرسة أخرى .

فعمدت الفتاة أصابعها ونكست رأسها وهي تقول :

— أنا آسفة يا أبي .. أنا آسفة حقًا .

— يجب أن تكوني آسفة .. اقتريني مني .

فتقدمت نحوه ببطء ، وأمسك ذقنها بيده الضخمة ، ونظر في وجهها مليًا .
ثم قال بلطف :

— انك عانيت الكثير .. أليس كذلك ؟.

فأغرورت عيناها بالدموع .

قال ببطء :

— كنت أعرف منذ وقت طويل ان بك عيبًا .. أكثر الناس لهم مواطن
ضعف من نوع ما .. ومواطن ضعف تبدو دائمًا واضحة وفي استطاعة الانسان
بسهولة أن يعرف الطفل الجشع . او الطفل السيء الطباع . او المشاكس ..
ولكنك كنت دائمًا طفلة هادئة وديمة دمثة الخلق .. وكان ذلك يهمني ويقلقني ،
فان صاحب العيب الخفي كثيرًا ما يتحطم من أول صدمة .

- مثلي .

- نعم .. مثلك . فانك تهاويت تحت الضغط بسرعة لم أشهد لها مثيلا .
فقال الفتاة فجأة :

- أظن انك قابلت كثيراً من اللصوص في حياتك العملية يا أبي ..

- نعم .. وأعرف كل شيء عنهم . ولذلك أعتقد عن يقين ، لا كآب فان
الآباء لا يعرفون الكثير عن أولادهم - وانما كشرطي - انك لست لصة ..
وانك لم تسرق شيئا من هذه المدرسة .

ان اللصوص على نوعين ، نوع يستسلم للاغراء الفجائي القوي ، ونوع يأخذ
ما ليس له بطريقة تلقائية .. وأنت لست من هذين النوعين .. انك لست
لصة .. ولكتك كذابة من طراز غير عادي .
- ولكن ..

- انك اعترفت بكل شيء .. أليس كذلك ؟ . حسناً ، أصني إلي ..
يحكى أن احدي القديسات تعودت أن تملأ سلتها خبزاً لتوزعه على الفقراء ،
ولم يجب ذلك زوجها ، واتفق انه قابليها في الطريق وسألها عما في سلتها ،
ففقدت أعصابها وقالت ان بالسلة زهوراً .. كانت معجزة .. والآب .. لو
انك كنت قديسة وخرجت بسلة من الزهور وقابلتك زوجك وسألك عما بالسلة ،
فانك ستفقدن أعصابك وتقولين : أن بالسلة خبزاً .

وتريت لحظة ثم قال بلطف :

- ذلك ما حدث .. أليس كذلك ؟

فصمت الفتاة وقتاً طويلاً ثم نكست رأسها .
قال :

- أخبريني يا بنية .. ماذا حدث بالضبط ..

- انها دعتنا جميعاً وألقت علينا كلمة ، ولاحظت أنها تنظر إلي طول
الوقت وأدركت أنها تراقب في ، وشمرت بحمرة الحجل تصبغ وجهي ، ورأيت

بعض الفتيات ينظران الي . ثم راح غيرهن ينظرون الي ويتها مسن .. كانت
من الواضح انهن جميعاً يعتقدن انني اللصة ..

وفي المساء دعيتي مس أمفري مع بعض الفتيات ، وشرعنا في لعبة تعتمد
على الألفاظ . كانت تقول عبارة .. ونحن نبحث عن جوابها .. وكانت
عباراتها جميعاً تهدف الى معنى .. وقد فهمت هذا المعنى وأصابني نوع من
الشلل ، وحاولت ألا أخطيء .. وأن اصرف ذهني عن المعنى الذي تهدف
اليه ، بالتفكير في أشياء أخرى . كالطيور والزهور .. ولكن مس أمفري
كانت تتفرس في وجهي بعينين كمعيني الصقر .. ونظراتها تكاد أن تنفذ الى
اعماقي .. وأخذ الموقف يزداد سوءاً لحظة بعد أخرى ..

وفي أحد الأيام دعيتي اليها وتحديث الي يرفق شديد . وبأسلوب من يعرف
بواطن الأمور . فتداعيت واعترفت بالسرقة .. وأحست بعد الاعتراف كأن
عبئاً ثقيلاً قد زال عن صدري .

فهز الرجل رأسه ببطء وقال :

- هكذا ..

- هل فهمت يا أبي ؟

- كلا يا سيلفيا .. لم أفهم .. لأنني من طينة أخرى غير طينتك .. ولو
طلب الي أحد أن اعترف بشيء لم أفعله فأنني أبادره بكلمة تشوه وجهه ..
ولكن لا بأس ، المهم الآن أن نجاول هذا الموقف القذر .. أين مس أمفري ؟ ..



وكانت مس أمفري تسكع خارج الغرفة ولكن اليبسامة تلاشت عن
شفقتها حين قال لها المفتش ياقل بصراحة :

- انتي اطلبك انصاف لأبنتي أن تستدعي البوليس المحلي للتحقيق في هذا الموضوع .
- ولكن يا مستر باقل . ان سيلفيا نفسها ..
- ان سيلفيا لم تمس شيئاً لا يخصها .
- انتي أفهم شعورك كأب . ولكن ..
- انتي لا أتكلم كأب ، وإنما أتكلم كشرطي .. اطلبي البوليس لمساعدتك في أماطة اللثام عن المسؤول الحقيقي عن هذه الحوادث . وكوني مطمئة الى كياستهم وكتماهم ، وأنا واثق من انكم ستجدون الأشياء المفقودة مخبأة في مكان وما عليها بصمات أصابع المسؤول .. ان صغار الصوم لا يستخدمون القفزات ..
أما الآن فانتني سأصطحب ابنتي ، وإذا وجد البوليس دليلاً يدينها فانتني على استعداد لاقتيادها بنفسني الى المحكمة لتتال جزاءها .. ولكني مطمئن الى برائها .

* * *

وبعد نحو خمس دقائق كان يستقبل سيارته ومعه ابنته .
وقبل أن تتحرك السيارة سأل الفتاة :
- من الفتاة ذات الشعر الأشقر والعينين الزرقاوين والحدين الموردين التي رأيناها في الدهليز ؟
- انها أوليف بارسونز .
- لن أدهش إذا ظهر انها اللصة .
- لماذا ؟ .. هل كان يبدو عليها الخوف ؟
- كلا كانت هادئة أكثر مما ينبغي . ولقد رأيت مئات من أمثالها في

محاكم البوليس .. ولكنني أراهن انها ليست من الطراز الذي يعترف بسهولة.
فتنتد الفتاة وقالت :

- بخيل الي كآني كنت في حلم مزعج .. اني آسفة يا أبي على اني تصرفت
على هذا النحو .

فقال وهو يربت على كنفها :
- لا عليك يا بنية ان الاقدار ثبتلينا بمثل هذه الأمور لاختبارنا .

١٠ - ابريل :

كانت الشمس تصلي بيت نيفيل سترينج في (هايندهيد) تاراً حامية ..
رغم أن اليوم كان أحد ايام شهر ابريل . ولكنه كان يعيد الى الأذهان أيام
القيظ في شهر يونيو .

وهبط نيفيل سترينج درج السلم وتحت أبطه أربعة مضارب مما يستعمل في
لعب التنس .

ولو قد طلب الى احدى اللجان ان تختار بين الانجليز النموذجاً للرجل السعيد
الحظ ، الذي لا ينقصه شيء ، لوقع اختيارها على نيفيل سترينج .

فلقد عرفته الجماهير كرياضي ولاعب تنس من الطراز الأول ، وعرفته
كسباح ولاعب جولف ومتسلق للجبال .. وكان فضلاً عن ذلك في الثلاثين من
عمره وينعم بصحة جيدة ووجه وسيم وثروة طائلة .. وزوجة جميلة اقترن بها
أخيراً . فهو فيما يعلم الناس انسان سعيد لا يعرف من هموم الحياة ما يعرفه
سواه ..

هبط نيفيل درج السلم واجتاز الصالة وخرج الى الشرفة حيث كانت زوجته
(كلي) تجلس بين الوسائل على اريكة كبيرة وبيدها قدح من عصير البرتقال

كانت كاي في نحو الثالثة والعشرين من عمرها ذات قوام فاتن وجمال غير عادي .. عيناها سوداوان وشعرها احمر وبشرتها بيضاء كالثلج .

هتف نيفيل حالماً رآها :

- ماذا عندك للافطار أيتها الحسناء ؟

فأجابت :

- بيض ولحم مقدد وخبز وزبد وعصير ..

- هذا رائع .

وتناول نيفيل افطاره ، واحتسى قدحاً من القهوة ولم يدرب بين الزوجين حديث الى أن قالت كاي :

- انظر الى الشمس يا نيفل ؟ . هل رأيت في المجلدا يوماً أجمل من هذا .

كأن قد عادا لتوها من رحلة في جنوب فرنسا ..

وتناول نيفيل احدى الصحف والقى نظرة سريعة على عناوين الصفحة الأولى ومثلها على صفحة الرياضة ثم نحى الجريدة جانباً وأخذ بعض رسائله .. وكان معظمها اعلانات ونشرات

قالت كاي :

- ان ديكور الصالون لا يعجبني .. انه يحتاج الى تعديل فما رأيك ؟

- افعلي ما تشائين أيتها الحسناء ..

وبهذه المناسبة ، لقد دعنا شيرلي الى رحلة الى النرويج على ظهر يختها في يونيو القادم .. اليس من المحزن الانني هذه الدعوة ؟

ونظرت اليه من ركن عينها بحذر ، واستطردت قائلة في أمسي :

- كم كنت أود الاشتراك في مثل هذه الرحلة .

فعبثت وجه نيفيل سحابة مظلمة ولم يجب ..

قالت كاي :

- هل من الضروري أن تذهب الى (كاميللا) وقصرها العتيق ؟

فقطب نيفيل حاجبيه وأجاب :

- نعم .. اصني الي يا كاي .. اتنا ناقشنا هذا الموضوع مراراً قبل الآن
قلت لك ان السير ماتيو كان وصياً عليّ ، وانه وزوجته (كاميللا) أشرفا على
تربيته منذ نعومة أظفاري ، فبيتها في (جالز بونيت) وهو بيتي ... ومسقط
رأسي ..

- حسناً إذن .. لا بد مما ليس منه بد .. وعلى كل حال ، أن ثروتها
ستؤول إلينا ، انها ثروة السير ماتيو فقد أوصى بها لها ، على ان تؤول الي بعد
موتها .. فالمسألة ليست مسألة ميراث .. انها مسألة عاطفية بحجة ..
الا تفهمين ؟

- هل تعلم لماذا أنفر من الإقامة في قصر كاميللا يا نيفيل ..؟ انني أنفر
منها لأنهم يكرهوني هناك .. فالليدي تريسيان تنظر الي من عليائها . وماري
إيلدن تتجنب النظر الي هي تحدثني .. ان الإقامة تطيب لك هناك لأنك لا
تري ما يحدث .

- انهم يعاملونك دائماً بأدب ، وما كنت أظن أن يعاملوك بغير ذلك .
فقالته وهي تنظر اليه من ركن عينها وأهدأها السوداء الطويلة تحفقه
بسرعة :

- نعم ، انهم مهذبون تماماً ولكنهم يعرفون كيف يثيروني . انهم ينظرون
الي كدخيلة
- ذلك أمر طبيعي .. فلا لوم عليهم .

ونفض واقفاً ، وأولاهما ظهره .. وراح يملأ عينيه من منظر الطبيعة .
فقالته وصوتها يرتجف قليلاً :

- نعم .. ذلك أمر طبيعي .. لأنهم كانوا يحبون أودري .. أودري
المهذبة الباردة التي لا لون لها .. ام كاميللا لن تغفر لي انني حلت محلها .

لا يجب أن تنسى ان كاميللا قد تجاوزت السبعين وانها من جيل لا يقر

الطلاق . ولكنها ارتضت الأمر الواقع ووافقت على طلاقي من أودري رغم حبها لها ، وعطفها عليها ..

– انهم يعتقدون انك كنت تسيء معاملتها .

فقال بصوت خافت :

– أظن انهم على حق .

ولكن كاي سمعته وقالت في غضب :

– لا تكن مغفلاً يا نيفيل .. انها أحدثت حولها ضجة مفتعلة .. لكي تشير

عطفهم عليها ..

– ان أودري لم تحدث أية ضجة .

– أعني انها كانت مريضة . وكانت تبدو كسيرة القلب ... حزينة ...

فأثارت عطف الجميع عليها .. تلك هي الضجة التي أعنيها .. ان أودري

ليست من أولئك الذين يتقبلون الهزيمة بصدر رحب .. والرأي عندي أن

الزوجة التي لا تستطيع الاحتفاظ بزوجها ينبغي عليها أن تتخلى عنه في

سماحة ورضى .. والواقع انه لم يكن بينكما أية صفة مشتركة .. فهي لا تقبل

على الألعاب الرياضية التي تحبها أنت . وحالتها الصحية لا تسمح لها بالقيام

بأي نشاط . كانت أشبه بمخرقة مهلهلة . ولو قد أحنتك حقاً لوضعت معادتك

في المكان الأول ، ولسرهما أن تراك سعيداً مع امرأة أخرى ثلاثك .

فقال وعلى شفثيه ابتسامة ساخرة :

– دعيني أحبي فيك السباحة والخلق الرياضي .

فضحكت كاي واحمر وجهها .

قالت :

ربما أكون قد بالغت .. إنما أردت أن اقول أن على الانسان أن يقبل

الواقع .

– لقد قبلت أودري الواقع وطلقتني لكي أستطيع الاقتران بك .

- اعلم ذلك .. ولكن ..
- انك لم تفهمي أردري قط ...
- هذا صحيح .. ولعل السبب انها مخلوقة غامضة ، لا يمكنك أن تعرف
- فيما تفكر .. إنها تخيفني في بعض الاحيان .. ربما لأنها خارقة الذكاء ..
- اعتقد أنك على حق أيتها الحبيبة البلهاء .
- فضحكت كاي وقالت :
- لماذا تصفني بالبلهه ؟
- وابتسما ، واقتربا منها نيفيل وقبل عنقها وهو يتمم ،
- بلهاء وفاتنة .
- وطيبة القلب .. تضجعي برحلة جميلة في يacht ، وتذهب الى قصر عتيق
- يضايقها فيه أقارب زوجها ..
- قال وهو يعود الى مقعده :
- الواقع اني لا ارى ما يدعوننا الى التخليف عن رحلة (شيرلي) إذا كنت
- تتوقين الى هذه الرحلة حقاً ..
- فنظرت اليه في دهشة ولم تصدق أذنها .
- قالت :
- وماذا عن قصر (كاميللا) ؟
- نستطيع الذهاب اليه في شهر سبتمبر ..
- ولكن يا نيفيل ..
- فقاطعها :
- يجب ان نسقط من حسابنا شهري يوليو وأغسطس ، ففيها تعقد
- مباريات التنس السنوية . التي تنتهي في الاسبوع الأخير من أغسطس
- كل هذا حسن .. ولكنني أعتقد انها اعتادت ان تذهب الى قصر كاميللا
- في شهر سبتمبر من كل عام .

- من ثعنين ؟ .. أودري ؟ .
- نعم .. ولكني أظن ان اللبدي ترسلان لن نمانع في مطالبتها بأن
ترجى زيارتها الى وقت آخر .
- لماذا ؟
- فنظرت اليه بارتياح وقالت :
- هل تعني اننا نستطيع أن نتواجد معها هناك في نفس الوقت !! .. يا لها
من فكرة عجيبة ! .
- وأي عجب في هذا ؟ .. كثير من الناس يفعلون ذلك في هذه الأيام .
لماذا لا يكون بيننا جميعاً نوع من الصداقة ؟ . ذلك يجعل الأمور أكثر يسراً .
أنت نفسك قلت ذلك منذ بضعة أيام .
- أأنا ؟ ..
- نعم .. ألا تذكرين ؟ .. كنا نتحدث عن مستر هاوس وعن الصداقة
المعجبية بين زوجته الحالية وزوجته السابقة .. فقلت ان هذه هي الطريقة
المتحضرة المعقولة للنظر الى الأمور .
- ولكني لا أعتقد أن اودري تفكر على هذا النحو .
- هراء .
- ليس هراء .. أنت تعلم كم كانت أودري تحبك .. ولا أظن انها ستطبق
رؤيتنا معاً .
- أنت مخطئة يا كاي .. أن أودري ترحب بصداقتنا ؟ .
- ونظرت اليه بارتياح فارتبك قليلاً ثم سعل وقال :
- الواقع انني قابلتها مصادفة أمس في لندن .
- انك لم تذكر لي ذلك .
- هأنذا أذكره لك .. كانت مصادفة مجتة . كنت أمر بهيد بارك فرأيتها
مقبلة نحوي ولم يكن من اللياقة أن أعرض عنها . أليس كذلك ؟ .

- استمر .
- حيثها ومصرنا معا قليلا ، ثم جلسنا على أحد المقاعد وتحدثنا في أمور مختلفة وسألني عنك .
- كانت لفنة كريمة .
- وتحدثنا عنك قليلا ، وكانت ظريفة الى أبعد حد .. وخطري حينئذ أنه ليس ثمة ما يمنع من أن تصبحا صديقتين .. وأن نلتهم فرصة اقامتنا في قصر كامبلا لتوثيق أواصر هذه الصداقة .
- خطر لك ذلك ؟ ..
- نعم ... كنت أنا وحدي صاحب الفكرة
- ولكنك لم تذكر لي قط كلمة واحدة عن هذه الفكرة .
- كانت فكرة بنت ساعتها
- فقالت يحفاء :
- وهل وافقت اودري على فكرتك ؟
- وأحسن نيفيل باستياها وقال :
- ماذا دهاك أيتها الحبيبة ؟
- لا شيء .. سوى انك والغريزة اودري لم تتساءلا عما إذا كنت اوافقو على مثل هذه الفكرة الرائمة .
- ولماذا لا توافقين بحق السماء ؟ أنت نفسك قلت منذ أيام ان ..
- انسى ما قلت .. انني كنت اتكلم عن أناس آخرين . لا عن أنفسنا
- إذا كنت لا توافقين بسبب الغيرة .. فان الطرف الآخر هو صاحب الحق في أن يقار .. ولا تنسي اننا عاملنا اودري بقسوة ... كلا .. كلا ..
- أنا لا أعنيك أنت .. أعني اني عاملتها بقسوة .. فاذا استطعنا أن نكسب صداقتها فإني اصبح أنعم بالا وأطيب نفسا .
- هل أفهم من ذلك انك لم تكن ناعم البال منذ تزوجتني ؟

– ماذا تمنين أيتها الحبيبة المحقاء .١ على العكس ، انني كنت أسعد انسان
في الوجود ولكن ..
– دائماً كلمة (لكن) ..
– أصغي الي يا كاي .. هل تقاربن من أودري ؟
– أنا لا أغار منها ولكني أخشاهما .. انك لا تعرف أودري يا نيفيل .
– كيف لا أعرفها وقد عاشرتها ثمانية أعوام ؟
– أوكد لك انك لا تعرفها ..

٣٠ – ابريل :

صاحت الليدي تريسيان .. التي يدعوها المقربون اليها باسم (كاميللا) :
– هذا غير معقول .. لا بد ان نيفيل قد جن .
فقالت ماري إيلدن :
– الحق انها فكرة عجيبة !

كان لليدي تريسيان أنف مقوس طويل تعرف كيف تنظر من فوقه
بأنفه وكبرياء لتحقير محدثها عندما تريد ، وعلى الرغم من انها تجاوزت السبعين
وأدركها الضعف والوهن ، فانها ظلت محتفظة بكل قواها العقلية ونشاطها
الذهني .

صحيح انها كانت تتوقع احياناً وتمتثل الناس وتقضي في فراشها فترات
طويلة ، إلا انها كانت تعود دائماً الى الحياة بعقل أوفر نشاطاً ولسان أكثر
ذلاقة .

أما ماري إيلدن قريبتها التي تقيم معها وتعني بها فكانت في السادسة
والثلاثين من عمرها . لها وجه أملس ناعم من تلك الوجوه التي تحتفظ بشبابها
ورونقها رغم مرور السنين ، وشعر أسود غزير تطل منه خصلة بيضاء نمت فوق

جيينها منذ الصبا فاكسبتها سماء مميزة .
وقدمت الليدي تريليان الى ماري إيلدن الرسالة التي وردت اليها من
نيفيل سترينج ، فقرأتها بعناية وعقبت عليها بقولها :
- انها فكرة غريبة حقاً ..

فقالت الليدي :
- لا أعتقد انها فكرة نيفيل ، لا بد أن بعضهم أوحى بها اليه ، وقد
تكون زوجته الجديدة هي صاحبة الفكرة .
- تعنين كاي ؟ .. أتظنين انها فكرتها ؟
- طبعاً .. انها فكرة جديدة ومبتذلة ، الزوجة الجديدة والزوجة القديمة
صديقتان ؟ ..

- حقاً لقد اهدر الناس المثل والتقاليد .
أعتقد أنها وجهة نظر عصرية ، وأسلوب حديث من أساليب التعامل بين
الناس ..
- انني لن اسمح بشيء كهذا في بيتي ، حسبي اني وافقت أن استضيف
تلك الدمية الملونة .
- انها زوجة نيفيل .

- وذلك هو السبب في انني وافقت على قدمها الى هذا البيت .. فقد كان
زوجي يحب نيفيل . ويرد أن يشعره بأن البيت بيته ، وقد خشيت إذا أنا
رفضت استقبال زوجته أن تحمل القطيعة بيننا محل المودة .
أنني لا أحب هذه المرأة ، فهي لا أصل لها ولا جذور . وليست جديدة
بأن تكون زوجة لنيفيل .
- يقال انها من اسرة كريئة .

- بل انها من أصل وضيع .. لقد طرد أبوها من جميع الأندية بسبب
الغش في اللعب ، ومن حسن حظه انه مات عقب ذلك مباشرة . أما أمها

فكانت لها شهرة معينة في (الريفييرا) ، وقد عاشت هي كل حياتها في الفنادق ثم قابلت نيفيل في إحدى مباريات التنس ، فقررت أن تقتنصه ولم يهدأ لها بال حتى جعلته يترك زوجته ، انها المألومة في كل ما حدث .

- ونيفيل ؟ . انه يستحق اللوم أيضاً .

- طبعاً . كانت له زوجة فاتنة مخلصه فتغلى عنها .. ولكني ما زلت مقتنعة بأنه لولا هذه المرأة اللعوب لماد نيفيل إلى صوابه .

- كان الموقف عسيراً من جميع الوجوه ..

- نعم ، ان الانسان يحار ماذا يفعل في مثل هذه الظروف ، كان زوجي يجب أودري كما أحبها ، وليس من ينكر انها كانت نعم الزوجة لنيفيل .. الشيء الوحيد الذي يؤسف له انها لم تكن تشاطره هواياته الرياضية .. ولكنها كانت دائماً رقيقة ضعيفة البنية . ان الأمر كله يدعو إلى الرثاء . وفي صباي لم يكن يحدث شيء من ذلك .. كان للرجال مغامراتهم بطبيعة الحال ، ولكن لم يكن يسمح لهم بهدم حياتهم الزوجية معها كانت الأسباب .

- ولكن ذلك مسموح به في هذه الأيام

- هذا صحيح .. انك انسانية واقعية يا ماري . فلا جدوى من الحديث عن أيام مضت . في هذه الأيام تستطيع فتاة لعوب مثل كاي أن تخطف زوج امرأة أخرى دون أن يلومها أحد .

- لا يلومها إلا من كان مثلك يا كاميللا ..

- انني لست في العير ولا في النفير .. ومخلوقة مثل كاي لا يهمها ان أقر سلوكها او لا أقره . انها مشغولة دائماً بلهوها وعيشها .. ولكن لا مانع لدي من أن يحضرها نيفيل معه ، ولا من أن استقبل اصدقاءها .. وان كنت لا أميل إلى ذلك الشاب الرقيق الذي يحوم دائماً حولها .. ما اسم ذلك الشاب ؟ .

- تمنين ادوارد لاتيير ؟ .

– نعم .. انه صديقها منذ أيام الريفييرا . ولست أعلم من أين له المال للحياة التي يحياها .

– لعله يعيش بمواهبه ..

– أعتقد انه يستثمر وسامته .. ولكني لا أراه الصديق المناسب لزوجة نيفيل .. لقد ضايقني انه جاء في الصيف الماضي وأقام في فندق (ايستر هيد) ليكون على مقربة منها .

فنهضت ماري ايلدن ووقفت امام النافذة .

كان بيت الليدي تريسيان يقع فوق ربوة تطل على نهر (تيرن) . وعلى الضفة الأخرى للنهر ، كان يوجد خليج ايستر هيد بشواطئه الرملية التي أصبحت أخيراً قبلة للمصطافين ، وأقيمت عليها طائفة من الأكواخ وفندق كبير يطل على البحر من ناحية ، وعلى قرية سولتكريك من ناحية أخرى .

وسولتكريك قرية صغيرة تقع أسفل الربوة التي ينهض فوقها قصر الليدي تريسيان .. ويشغل كل أهلها تقريباً بصيد السمك .

وكان السير ماثيو تريسيان من هواة الملاحة وقد ابتاع هذا القصر منذ نحو ثلاثين عاماً .. ثم حدث منذ تسعة أعوام ان انقلب به قاربه فغرق في البحر أمام عيني زوجته . وكان من المتوقع بعد هذه الكارثة أن تباع الليدي القصر وترحل عن سولتكريك ، ولكنها لم تفعل ، وظلت تقم في القصر .. وكان كل ما فعلته انها تخلصت من جميع قوارب زوجها فأصبح يتعين على ضيوفها أن يسيروا على أقدامهم حتى المرفأ ، وهناك يستأجرون قارباً يقلمهم عبر النهر في أضيق نقطة من مجراه .

* * *

قالت ماري بعد تردد قصير :

.. هل اكتب إلى نيفيل لانبثه بأن ما يقترحه لا يتفق مع وجهة نظرك ؟.

فقالت الليدي تريسيليان :

- ليس لدي أي اعتراض على زيارة أودري ، فقد اعتادت القدوم في شهر سبتمبر من كل عام ، ولذلك لن اطالبها بتغيير برنامجها .

- يقول نيفيل في رسالته أن أودري توافق على رأيه ولا تمنع في مقابلة كاي .

- لا أصدق ذلك .. ان نيفيل ، مثل غيره من الرجال ، يؤمن بكل ما يريد الايمان به .

- ولكنه يؤكد انه تحدث إلى أودري وأنها وافقت .

- أعتقد انه يشعر بأنه أساء التصرف ، ويريد الآن أن يريح ضميره .. لا بد انه ألح على أودري الحاحاً شديداً حتى انتزع موافقتها على لقاء كاي .. انها أصيبت بأنحيار تام عقب الطلاق ولأدت ببيت عمتها مسز رويد وصارت شبعاً من فرط الهزال .. ولكنها استردت صحتها أخيراً ، وعادت الى سابق عهدها ، ولا يمكنني أن أصدق انها وافقت راضية على بحث ذكريات الماضي .. أصني إلى يا ماري . ان غداً هو أول شهر مايو .. وبعد ثلاثة أيام ستكون أودري في ضيافة آل دارلنجنون في (إيسبانك) التي لا تبعد عن هنا أكثر من عشرين ميلاً .. اكتبى إليها .. وأطلي منها أن تأتي لتناول الغداء معنا هنا .

* * *

• - مايو

اعلنت الخادمة قدوم أودري سترينج ، واجتازت أودري الغرفة الفسيحة التي ترقد الليدي تريليان على فراش كبير في أركانها ، والمنحنت فوق السيدة العجوز وقبلتها .. ثم جلست على مقعد يحوار الفراش .

قالت الليدي :

- كم أنا سعيدة بلقائك أيتها العزيزة !

كانت أودري متوسطة القامة ، ذهبية الشعر ، شاحبة اللون ، لها وجه دقيق القصات ، تطل منه عينان واسعتان لونهما رمادي .. وكانت من الرقة بحيث يخيل للناظر اليها انها مجرد شبح .

ولكن صوتها كان صافياً جميلاً ، وله رنين محبب كرنين جرس من الفضة . ودار الحديث بين المرأتين حول بعض أصدقائهما . الى ان قالت الليدي

تريليان :

- لقد دعوتك ايتها العزيزة لكي أراك أولاً . ثم لكي أقول لك انني تلقيت من نيفيل رسالة عجيبة .

فنظرت اليها أودري بعينها الصافيتين وقالت في هدوء :

- أحقاً ؟

- لقد اقترح في رسالته أمراً لا يقبله عقل .. قال انه يريد ان تتوثق . أو اصر الصداقة بينك وبين كاي ، وانك وافقت على ذلك .

فأجابت أودري بصوتها الهاديء العذب :

- وهل هذا أمر لا يقبله عقل .

- أحقاً أنك وافقت أيتها العزيزة ؟

فصمت أودري لحظة ثم أجابت :

- خيل الي ان ذلك لن يضر أحد

– أريدن حقا لقاء هذه الـ . لقاء كاي ؟ .

– ما دام نيفيل يريد ذلك ...

– لا يعني ما يريده نيفيل .. المهم هو هل وافقت أنت ؟ .

فاحر وجه أودري قليلا وأجابت :

– نعم .

– ما دام الأمر كذلك ...

ثم استدركت قائلة :

– ان البيت بيتك .. وفي استطاعتك القدوم حينما تريدن .. انك

ستحضرين في سبتمبر كالمادة ، وسيحضر نيفيل وكاي في نفس الشهر . الحق

اني لا أفهم التطورات الجديدة التي طرأت على الحياة الاجتماعية ..

وأغمضت عينيها ، ولزمت الصمت لحظة ، ثم نظرت الى أودري وقالت :

– هل انت واثقة من ان مثل هذا اللقاء لن يؤمك ؟ . انك كنت تحبين

نيفيل . وأخشى ان ينكأ هذا اللقاء جروحاً اندملت

فقال أودري يهدوئها المألوف :

– ان كل ما كان بيننا قد انتهى تماماً .

فتمددت الليدي في فراشها وأغمضت عينيها مرة أخرى وهي تغمغم :

– ان نيفيل مغفل . وسوف يندم على انه فكر في الجمع بينكما ..

٢٩ :يو

أشعل توماس غليونه وأطل من نافذته على المزارع التي تترامى أمامه بينما

كان خادمه يعمل بنشاط في حزم أمتعته ..

كان يفكر في انه لن يرى مرة أخرى قبل ستة شهور على الأقل ، هذه

المزارع العزيزة التي عاش فيها طوا . السنوات السبع الأخيرة ..

وفتح الباب ، وأطل منه شريكه آلان دريك وسأله :

– هل فرغت من حزم حقائبك يا توماس ؟

– تقريباً ..

– اذن هلم بنا نتناول شراباً أيها الشيطان السعيد ..

فغادر توماس رويد الغرفة ببطء ولحق بشريكه وصديقه في شرفة البيت .
كان رويد ربة القوم يتميز بوجه جامد وعينين قويتى الملاحظة .. وقد
اشتهر بأنه صموت قليل الكلام ، حتى أصبح أصدقاؤه يعرفون انطباعاته من
طريقة صمته ..

وكان يمرج قليلاً ويشعر بمعجز ذراعه اليمنى نتيجة أصابته في زلزال حدث
في الملايو .

قال دريك لصديقه وهو يمد الشراب :

– متى زرت المجلترا آخر مرة ؟

– منذ سبع او ثماني سنوات .

– هل خططت لأجارتك وكيف ستقضيها ؟

– الى حد ما .

– يجبل الى ان هناك فتاة في انتظارك .

– لا تكن مغفلاً .

ثم استطرد قائلاً على خلاف عادته في الصمت والايجاز

– اعتقد انني سأجد كل شيء قد تغير ..

فنظر اليه دريك في عجب وقال :

– لطالما تساءلت لماذا عدلت عن السفر في آخر لحظة في العام الماضي ..

– جاءتني ألباء سيئة .

– آه .. تذكرت الآن .. لقد جاءك نبأ مصرع اخيك في حادث سيارة ..

فأطرق توماس برأسه ولم يجب .

وفكر دريك في انه كان يوسع صديقه مع ذلك أن يسافر ، فان له في
المجلترا أما وأختنا ..

وفجأة ، تذكر دريك أن صديقه الغي رحلته قبل أن يرد اليه نبأ مصرع
أخيه .

- هل كانت العلاقة بينك وبين أخيك طيبة ؟ ..

- بيني وبين أدريان ؟ كانت علاقة عادية ، وكل منا يسير في طريقه ..
كان أدريان محامياً .

وفكر دريك في الاختلاف الكبير بين الأخوين ، فاحدهما صناعته الكلام ،
والثاني لا يتكلم إلا بقدر .

سأله : هل لا تزال أمك على قيد الحياة ؟

- نعم ..

- وأعتقد ان لك أختاً أيضاً .

فهز رويد رأسه سلباً ، وقال :

- كلا ، انها احدى قريباتي وقد نشأت معنا لأنها كانت يتيمة .

- هل هي متزوجة ؟

- كانت زوجة للدعو نيفيل سترينج .

- آه ، ذلك الرياضي الذي يلعب التنس والجولف ؟

- نعم ، ولكنها طلقته .

فقال دريك لنفسه :

- لا بد أنه قرر العودة الى المجلترا ليحرب حظه مع قريبتة .

ثم قال ليغتر بجرى الحديث :

- أكبر الظن انك ستقضي أجازتك في صيد السمك .

- انني أفضل الملاحة في (سولتكريك) .

- انها منطقة رائعة وأنا أعرفها .. وأعتقد انه يوجد بها فندق قديم

مشهور ..
- نعم .. فندق بالمورال .. ربما اقم فيه ... أو في بيت أصدقاء لي على
مقربة منه .

٢٩ - مايو :

قال مستر تريفز :
- حقاً انه أمر يبعث على الضيق .. ظلت أتردد على فندق (مارين)
بمنطقة (ليهيد) طوال خمسة وعشرين عاماً ، وهام الآن يدمونه بدعوى
التوسع وإدخال تعديلات ، لماذا لا يدعون فنادق الاصطياف وشأنها ؟ .
لقد كنت دائماً أحب منطقة (ليهيد)
فقال رافاس لورد مواسياً :
- ألا توجد هناك فنادق أخرى يمكنك الإقامة فيها ؟ .

فقال مستر تريفز :
- ما دام فندق مارين قد عدم فلن أذهب الى (ليهيد) إطلاقاً .. كانت
مسز ماكاي صاحبة فندق مارين تعرف مطالبي واحتياجاتي .. وكنت أقم في
نفس الغرفة كل عام ، ولم يحدث قط أي تغيير في نظام الخدمة وكان الطعام
جيداً .

- ما رأيك في منطقة (سولتكريك) ؟ . يوجد هناك فندق جديد معروف
باسم فندق (بالمورال) تشرف عليه سيدة تدعى مسز (روجرز) كانت تعمل
طاهية في قصر اللورد (ماونتهيد) الذي طالما قدم لضيوفه أشهى أطعمة
عرفتها لندن ، وقد اقترنت الطاهية بكبير خدام قصر اللورد وأنشأت مع
زوجها هذا الفندق الذي يخليل الي انه يلائمك تماماً ، ول سوف تجد فيه الهدوء
والراحة والطعام الجيد . ولا شيء من موسيقى (الجاز) التي ترعج العجائز

من أمثالنا .

— وهل توجد بهذا الفندق شرفة مسقوفة ؟ .

— به شرفة واسعة مسقوفة تجدد فيها الشمس والظل على السواء ، واستطيع أن اقدمك الى بعض الشخصيات التي تقم بالمنطقة ، كالليدي تريسيان التي تمتلك قصراً هناك . وهي سيدة ظريفة رغم انها قلما تخرج قراشها ؟

— الليدي تريسيان ؟ . أرملة القاضي السير ماتيو تريسيان ؟ .

— نعم .

— انني كنت أعرف السير ماتيو ، وأعتقد انني قابلت زوجته في بعض المناسبات ، كان ذلك منذ وقت طويل مضى ، ان (سولتكريك) تقع بالقرب من سانت لو .. أليس كذلك ؟ . ان لي اصدقاء كثيرين في المنطقة ، أعتقد ان فكرتك صائبة يا رافاس ، سأكتب الآن الى فندق بالمورال في طلب بعض التفصيلات ، أريد أن اقيم هناك شهراً من منتصف أغسطس الى منتصف سبتمبر هل توجد بالفندق حظيرة للسيارات ومكان لإجراء السائق ؟ .

— طبعاً ، انه فندق كبير يدار بأحدث الأساليب المصرية ؟

— وهل يوجد به مصعد ؟ . أنت تعلم انني لا أستطيع الصعود الى الطوابق

العليا ..

— أظن أن به مصعداً ..

— ذلك ينهي مشكلتي تماماً ... وسوف يسرني أن أجدد معرفتي

باليدي تريسيان .

٢٨ - يوليو :

كانت كابي ستارينج ترتدي (الشورت) و قميصاً برتقالي اللون وحذاء خفيفاً ، وترقب زوجها باهتمام وهو يلعب (ميريك) الشاب في المباراة النهائية

لفردى الرجال في دورة العاب التنس التي أقيمت في سانت لو .
وكان المفهوم أن ميريك هو أقوى المرشحين لبطولة الدورة . فقد كانت
ضرباته من البراعة بحيث لا يمكن صدها ، ولكن نيفيل كان يمتاز بالخبرة والجلد
وأصغرت الجولة السادسة بين الفريقين عن التعادل ٣ - ٣ .
وكان إدوارد لاتيئر يجلس يحوار كاي ويشهد المباراة بقلة إكثاره فقال
ساخراً :

- الزوجة الوفية ترقب زوجها المحبوب وهو يشق طريقه الى النصر ..
كان كاي لاتيئر في نحو الخامسة والعشرين من عمره ، وسيماً الى حد يلفت
اليه الأنظار ، له عينان أقوى تعبيراً من لسانه ، وصوت يعرف صاحبه كيف
يتحكم في نبراته كأعظم ممثل .

- وقد عرفت كاي صديقها هذا منذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها ،
فكانا يصطفان في نفس المصيف كل عام ويرقصان معاً ويلعبان التنس معاً .
وتطورت الصداقة بينهما مع الأيام الى شبه تحالف .
قال إدوارد :

- ان نيفيل يستخدم ظاهريه خيراً مما يستخدم باطنها .
وانتهى الشوط السابع بفوز نيفيل ، وبدأ ميريك يفقد أعضابه ، ويرسل
الكرة حينما اتفق وانتهى الشوط الثامن بفوز نيفيل ٥ - ٣ .
ثم قال كاي ميريك نفسه وأخذ يلعب بحذر شديد .. وغير سرعته وضرباته
ولم يلبث أن تعادل مع غريمه ..

وحيث قال لاتيئر :
- يبدو انها ستكون مباراة حامية ..

وحسب وطيس المباراة فعلاً وانتهت بفوز ميريك ٩ - ٧ .
وتقدم نيفيل من الشبكة وصافح غريمه وهو يتسم فقال لاتيئر :
- ان للسنة أحكامها .. تسعة عشر عاماً ضد ثلاثة وثلاثين .. ولكني

أستطيع أن أقول لك يا كاي لماذا لم يصل نيفيل قط الى مرتبة البطولة ، انه لم يصل اليها لأنه تمود أن يلقي الهزيمة يصدر رعب .

- هراء .

- انه لا يتدخل عن خلقه الرياضي ولم أره قط يفقد أعصابه حين يخسر إحدى المباريات .

- ولكنك مع ذلك لا تحبه ..

- وكيف أحبه وقد خطف مني فتاتي ..

وتعلقت عيناه بعينيها فقالت :

- أنا لم أكن فتاتك .. ثم انني أحببته فتزوجته .

- على كل حال هو رجل ظريف والجميع يقولون عنه ذلك .

- هل تريد مضايقتي ؟

وتحولت اليه بجدة وهي تقول ذلك ، ولكنه ابتسم فانفتحا غضبها على الفور وابتسمت بدورها .

سألها : كيف مضى الصيف ؟

- أمضيته في رحلة ممتعة ، ولكنني سئمت هذه المباريات .

- كم ستستغرق بعد ذلك ؟

- نحو شهر ؟

- نعم .. وسنذهب في سبتمبر الى (جالز بوينت) حيث نقضي نحو

اسبوعين .

- أما أنا فقد حجزت غرفة بفندق إيستر هيد .

- سنكون أعجب جماعة أظلمها سقف واحد .. أنا ونيفيل ، وزوجة

نيفيل السابقة ورجل آخر قادم من الملايو ليقتضي اجازته في المجلة .

فقال لاتيير ضاحكا :

- وأنا في فندق على مقربة منكم .

وعندما قابلت كاي زوجها خارج غرفة الملابس ، قال لها :

- اري ان صديقك قد وصل ؟ .

- من ؟ .. إدوارد ؟ .

- نعم .. إدوارد .. الكلب الأمين .

- ألا تحبه ؟ .

- أنا لا أعبا به .. ولطالما يسرك ان تمسكي بمقوده ..

فهزت كتفيها وقاطعته قائلة :

- أظن انك تغار منه .

- من إدوارد لا تيمر ؟ ..

- المفهوم انه شاب وسم جذاب .

- هذا صحيح .. ولكني لا أغار منه .. لن أغار حتى ولو مشى في

ركابك جيش من المعجبين .. لسبب بسيط هو انك ملك لي .

- ما أسد ثقتك بنفسك !

- ولم لا .. ؟ السنا تعبيراً حياً لإرادة القدر ؟ . القدر وضع كلا منا في

طريق الآخر ، والقدر جمع بيننا كزوجين .. هل تذكرين كيف التقينا في

مدينة (كان) .. ثم كيف رحلت انا بعد ذلك الى (استوريل) في اسبانيا فاذا

بي أجد نفسي فجأة امام كاي الفاتنة ؟ .. لقد احسست يومئذ انه القدر ، وان

لا مفر من النزول على ارادته .

- انه لم يكن القدر ايها العزيز .. انه انا .

- ماذا تعنين ؟ .

- انني اعجبت بك حين رأيته في (كان) ثم سمعتك تقول انك ذاهب

الى (استوريل) ، فاقنعت امي بالذهاب اليها وهكذا وجدتني امامك هناك .

فرمقها نيفيل بنظرة عجيبة وقال بعد صمت طويل .

- انك لم تصارحيني بذلك قبل الان .

- لم اصارحك اشفاقاً عليك من الغرور .. ولكني كنت دائماً بارعة في التخطيط .. وأحياناً اخطط لأهداف بعيدة جداً .. انتي لست بلهاء كما وصفتني .

فقال نيفيل بشيء من المرارة :
الآن فقط بدأت افهم المرأة التي تزوجتها .
- هل انت حانق عليّ يا نيفيل ؟
- كلا طبعاً .. لماذا احنق عليك ؟ ..

١٠ - اغسطس :

جلس اللورد كورنيللي ، ذلك النبيل الثري الغريب الأطوار ، امام مكتبه الضخم الذي كان في السنوات الأخيرة مصدر فخره وخيلائه .

كان هذا المكتب العظيم قد صنع خصيصاً له ، وبارشاداته ، وكلفه مبلغاً طائلاً ، وقد روعي في ديكور الغرفة ان يبرز ضخامة المكتب وفخامته ، وكانت النتيجة منظرأ يبهّر الأبصار ، لا يشوه سوى وجود اللورد كورنيللي ، ذلك التافه القصير القامة ، الذي انكش حجمه بالقياس الى ضخامة المكتب فبدأ اشبه بالأقزام .

ودخلت سكرتيرة رشيقة يتناسب شعرها الأشقر مع لون الغرفة . فسارت على الأرض اللامعة دون ان تحدث صوتاً ، وضعت امام اللورد قصاصة من الورق .

ونظر اللورد الى الورقة وغنم قائلاً :

- يا ماكويرتر ؟ ماكويرتر من هو ؟ هل كان ممّي على موعد ؟
فأجابت الشقراء بالإيجاب .

وفكر اللورد قليلاً ، ثم لمع عيناه وهتف :

- ماكويرتو !! . طبعاً ا. دعيه يدخل .
وضحك ، وأحسن براحة نفسية .

* * *

واعتمد اللورد في مقعده ، وصعد الزائر بعينيه ، وتفرس في وجهه
المبوس .

سأله :

- هل أنت ماكويرتو ؟

فأجاب ماكويرتو وهو منتصب القامة مقطب الجبين :

- نعم .

- هل كنت تعمل مع هربرت كلاي ؟

- نعم .

فضحك اللورد مرة أخرى وقال :

- انني أعرف كل شيء عنك . لقد سحبت رخصة قيادة هربرت كلاي
لأنك رفضت ان تشهد بأنه كان يقود سيارته بسرعة ثلاثين كيلو متراً في
الساعة ، انه يتميز غيظاً منك .

وواصل الضحك بصوت مرتفع واستطرد قائلاً :

- انه روى لي القصة كلها في فندق سافاي .. وصاح : لقد حاولت عبثاً
أن اقنع الاسكتلندي العنيد بأن يؤيد كلامي ... فهل تعرف ماذا خطر لي
عندما سمعت القصة ؟

- ليست لدي أية فكرة .

وكان ماريرتو يتكلم بإيجاز وبشيء من الجفاء ولكن اللورد لم يغمض لذلـك
وزناً وقال :

- لقد قلت لنفسى : هذا هو الرجل الذي أريده .. رجل لا يجيد عن الصدق مها كانت المغريات .. اصغ الي يا ماكويرتر .. انك لن تضطر الى الكذب من أجلي لأنني أعمل في وضع النهار . ولا أخفي شيئاً .. ولقد كنت دائماً أبحث عن أناس أمناء ولكن ما أقلمهم في هذه الدنيا

ثم كف عن الضحك وتفرس في وجه ماكويرتر مرة أخرى وقال :
- اذا كنت تريد عملاً يا ماكويرتر فلي عمل لك .
- انني أرحب به .

- عندي لك وظيفة هامة لا يجب ان يشغلها سوى رجل أمين يمكن الوثوق به .

وصمت اللورد وانتظر رد ماكويرتر ، ولكن هذا لزم الصمت .
فصاح اللورد :

- تكلم يا رجل . هل تستطيع الاعتماد عليك ؟
فأجاب ماكويرتر بحفا .

- طبعاً تستطيع ، هل تتوقع مني ان اقول غير ذلك ؟
فأعجب اللورد بحديثه وقال :

- سأسند اليك هذه الوظيفة ، فأنت الرجل الذي اريده . . هل تعرف أميركا الجنوبية ؟

وبدأ يتحدث في التفاصيل ، ويمد نصف ساعة ، كان ماكويرتر يسير في الشارع وهو يعد نفسه المرشح الوحيد لوظيفة هامة ذات مستقبل عظيم .

لقد ابتسم له الحظ بعد طول عبوس أما هو فلم يبتسم ، رغم ان تفاصيل لغائه مع اللورد كانت تبعث على الضحك .

أليس بما يضحك ان تكون شنائيم مخدومه السابق وحملته عليه ، هي جواز المرور الى عمله الجديد ؟

لا شك أنه انسان حسن الحظ . ولكن ما أهمية ذلك ؟ . لقد آل على

نفسه ان يعيش . ولكن بلا حماسة أو اهتمام .. سيعيش ليومه .. دون ان يلقي ببصره الى غده .

أنه حاول الانتحار منذ سبعة شهور ، ونجا من الموت بحض الصدفة ... ولكنه الآن ليس على استعداد لان يكرر المحاولة مرة أخرى .. ان الانسان لا يستطيع ان يقتل نفسه مجرد احساسه بأن الحياة لم يعد لها معنى ولا قيمة .. انما يقتل الانسان نفسه حين يبلغ به اليأس المدى بل ويتجاوزه .. لا بد من القشة التي تقسم ظهر البعير .

بيد أنه أحس بالارتياح بصفة عامة لان وظيفته ستبعده عن انجلترا ، ذلك أنه تقرر ان يبحر الى امريكا الجنوبية في نهاية شهر سبتمبر .. ولذلك كان لا بد له ان يقضي الأسابيع القليلة التالية في الاستعداد للرحيل والتعرف على دقائق عمله الجديد .. وسيبقى له قبل الرحيل أسبوع الراحة .. فأين يقضيه ؟ هل يقضيه في لندن ؟ او خارجها ؟

وصح عزمه على ان يقضيه في سولتكريك . في المنطقة التي أقدم فيها على الانتحار ..

وارتسمت على شفتيه ابتسامة . حين خطرت له هذه الفكرة ..

١٩ أغسطس :

قال المفتش باتل بامتعاض :

— لقد ذهبت اجازتي مع الريح ..

وأحست مسز باتل باليأس وخيبة الأمل ، ولكن السنوات الطويلة التي عاشتها كزوجة لمفتش البوليس علمتها ان تواجه اليأس وخيبة الأمل بشيء من الفلسفة ..

قالت :

— لا بد مما ليس منه بد .. هل ثمة قضية هامة ؟

— بل قضية عادية .. لا تفارق عن غيرها الا بانها خاصة بوزارة الخارجية .. ولكنها ليست من النوع الذي يستحق ان انشره في مذكراتي لو كنت من الحفاقة بحيث أكتب أية مذكرات .
— لا بأس من ان نرجيء أجازتنا اذا ...
فقاطعها زوجها بحدة :

— كلا .. أبداً .. اذهبي مع الفتيات الى (برتيلجتون) فقد حجزت شقة هناك منذ شهر مارس .. وحرام ان لا نفيد منها .. أما أنا فمأقضي أسبوعاً مع جيمس بمجرد الفراغ من هذه القضية .
كانت جيمس ليتش هو ابن أخيه ، وكان يعمل مفتشاً للبوليس في (سولنجتون) .

واستطرد باتل قائلاً :
— ان سولنجتون تقع على مقربة من سولتكريك .. ومن خليج إيستر هيد .. وهكذا سوف تنهى فرصة للاستمتاع بماء البحر وهوائه .
فتنهدت مسز باتل وقالت :
— أكبر الظن انه سوف يشغلك معه في بعض القضايا ..
— لن تكون لديهم قضايا هامة في مثل هذا الفصل من السنة .. يضاف الى ذلك ان جيمس كفء لمعالجة قضايا بنفسه .
— طي رسلك اذن .. ولكن الانسان لا يتمالك من الشعور بخيبة الأمل .
— هذه نحن ترمينا بها الأقدار لاختبارنا .

الفصل الثالث

الجريمة

- ١ -

ما ان غادر توماس رويد القطار في محطة (سولتنجتون) حتى وجد ماري ايلدن في انتظاره .

لم يكن يذكرها جيداً ، ولكنه عرفها حالاً رآها ، ولاحظ أنها لا تزال كمهده بها حازمة سريعة في حسم الأمور قالت له وهي تدعوه باسمه الشخصي كما كانت تفعل فيما مضى :

— كم أنا سعيدة بلقائك بعد كل هذه السنين يا توماس ؟
— كان كرمأ منكم ان توافقوا على اقامتي معكم .. وأرجو الا يكون في ذلك ازعاج لكم .

— على العكس .. انك ستحل بيننا على الرحب والسعة .. هل هذه حقائبك ؟ . دع الحمال يذهب بها الى السيارة .. انني تركتها أمام المحطة .
ووضعت الحقائب في السيارة ، وجلست ماري أمام عجلة القيادة ، وجلس توماس يجوارها ..

وتحركت السيارة ، ولاحظ توماس أنها تجيد القيادة ، وتحسن تقدير

المسافات والأبعاد .

وكانت سولتنجون تبعد عن سولتكريك حوالي سبعة أميال ، وما أن خرجت السيارة من المدينة الصغيرة حتى عادت ماري الى الحديث عن زيارة توماس .

قالت له :

- ان قدومك في هذه الأيام .نعمة من السماء ، فالأمور في القصر ليست على ما يرام ، ووجود شخص غريب هو ما نحتاج اليه .
- لماذا ؟ .. ماذا حدث ؟ .

القي هذا السؤال بفتور ، وبلا حماسة كأنما القاه تأديباً لا بدافع الفضول ، وذلك ما كانت تريد ماري .. كانت تريد شخصاً تتحدث اليه .. وتفضل أن يكون هذا الشخص ممن لا يعينهم ما يحدث في القصر .

أجابت :

- اتنا في مأزق حرج ، لقد جاءت أودري .. هل تعلم ذلك ؟ .
فأوما برأسه علامة الإيحاب .

قالت :

- وكذلك جاء نيفيل وزوجته .
فرقع توماس حاجبيه ، وقال بعد لحظة :
- موقف حرج حقاً .. اليس كذلك ؟ .
- نعم .. كانت فكرة نيفيل .
- لماذا ؟ ..

فقلبت كفها في حيرة وأجابت :

- لعله فعل ذلك تجاوباً مع الأساليب الحديثة .. التي تقول أن الصداقة والتفام بعد إنقضاء الصلات الزوجية لا تضير أحداً .. .
- وماذا عن الزوجة الجديدة ؟ .

– كاي ؟ إنها جميلة طبعاً .. بل على جانب عظيم من الجمال .. وصغيرة السن ..

– وهل نيفيل يحبها ؟
– أظن ذلك .. وان كنت لا أرى بينها صفة مشتركة .. فأصدقها
مثلاً ..

ولم تم عبارتها ، وقال :
– أعتقد انه قابلها في الريفييرا ؟ اني لا أعرف عنها سوى الحقائق
القليلة التي سجلتها أمي في رسائلها الي .

– نعم ، انه قابلها لأول مرة في مدينة (كان) ولكني ما زلت على يقين
من أنه لو ترك لنفسه في ذلك الوقت لما اسفرت المقابلة عن شيء . لأنه كان
يجب أودري كما تعلم .

فهرز رأسه علامة الموافقة ومضت ماري في حديثها وقالت :
– لا أظن انه كان يريد هدم حياته الزوجية ، ولكن الفتاة كانت مصممة
فلم يهدأ لها بال حتى حملته على ترك زوجته .

– هل هي مولعة به الى هذا الحد ؟ ..
والثفت عيونها فقالت :
– أظن ذلك .. رغم ان لها صديقاً وسيماً يمشي في ركبها أينما ذهبت ..
واني لأتساءل في بعض الأحيان ، عما إذا كانت الفتاة تحب نيفيل لشخصه أو
لثروته ومركزه . ذلك لأنها فقيرة لا تملك ثروى فقير .

واحمر وجهها قليلاً واستطردت قائلة :
– ربما كان حديثي مبعثه الحسد ، فالفتاة رائعة الى حد يثير حسد العوانس
مثيلاتي .

– ولكن ما هو الحرج الذي تعانونه الآن ؟
– الحق انني لا استطيع تحديده أو توضيحه .. لقد استطلعنا رأي أودري

في البداية فلم تمنع في مقابلة كاي وكلفت لطيفة كالمادة ، انها انسانة كاملة بكل معنى الكلمة . تعرف كيف تسيطر على نفسها وتتحكم في مشاعرها فلا يستطيع أحد أن يتكهن بما تشعر به أو تفكر فيه .. على انني شخصياً أعتقد أن وجود نيفيل وكاي لا يهمها حقاً .

- ولماذاهتم ؟ لقد انتهى كل ما كان بينها وبين نيفيل منذ ثلاث سنوات.

- ولكن هل تنسى من كانت مثلها ؟.. انها كانت تحب نيفيل حباً جماً .

- انها في الثانية والثلاثين من عمرها وما زال المستقبل فسيحاً أمامها .

- هذا صحيح . ولكن انفصالها عن نيفيل كان صدمة لها ، وقد

أصببت بائساً كما تعلم .

- أعلم ذلك ، فقد انبأني أمي في رسائلها الي .

- كان وجود أودري مع امك في ذلك الوقت من بواعث الترفيه عن أمك

نفسها ، فقد صرفها عن الحزن والتفكير في مصرع أخيك ... كم اسفنا جميعاً

عليه !!

- مسكين أدريان ، كان مولماً بالسرعة .

فصمتت ماري قليلاً ثم قالت فجأة :

- حدثني يا توماس ، هل تعرف أودري جيداً ؟

- انني لم أراها إلا قليلاً في السنوات العشر الأخيرة .

- ولكنك كنت تعرفها وهي طفلة .. ألم تكن بمثابة اخت لك أنت

ودأريان ؟

فأطرق برأسه علامة الإيجاب .

قالت

- هل لاحظت في وقت ما أنها تفتقر الى الاتزان ؟..

لا أعني هذا تماماً .. أريد أن أقول انني أشعر أحياناً بأنها ليست طبيعية

انها لا تبالي بما حولها وتبدو كاملة بطريقة غير مألوفة ولكنني اتساءل أحياناً

تري ماذا وراء هذا المظهر ؟. قد لا يكون هناك ما يستوجب هذا التساؤل وقد أكون متأثرة بالجو الذي يسود القصر هذه الأيام .. انه جو يشد الاعصاب ولذلك قلت لك ان قدومك سيلطف الكثير من التوتر .

* * *

ووصلنا الى القصر الذي ينهض فوق رهوة تطل على النهر ، وهناك قالت ماري :

- سأذهب بالسيارة الى الحظيرة التي تقع في الجانب الآخر من القصر .
وأقبل مرستال المعجوز ، كبير الخدم ، فحيى توماس تحية صديق قديم ورحب به قائلاً :

- كم أنا سعيد برؤيتك بعد كل هذه السنين يا مستر رويد .. لقد أفردنا لك الغرفة الشرقية .. وستجد القوم جميعاً في الحديقة اللهم إلا إذا أردت الذهاب الى غرفتك أولاً .

فهز توماس رأسه ، ومضى الى قاعة الاستقبال واجتازها الى الباب المؤدي الى الشرفة ، وتوقف هناك لحظة لكي يرقب القوم دون أن يروه .

رأى في الشرفة امرأتين ، احدهما تجلس على الحائز وتنتظر الى النهر ، والثانية تراقبها من بعيد بعينين كمعيني الهرة حين تتربص بفأر .

كانت الأولى هي اودري ، وأدرك توماس ان الثانية لا بد ان تكون كاي .
ولم تكن تعلم أن هناك من يراها ، ولذلك لم تحاول إخفاء التعبير الذي ارتسم على وجهها .. وأيقن توماس من نظرة كاي الى اودري انها تمقتها أشد المقت .

اما اودري فلم يدرك عليها انها تعباً بكاي او تشعر بوجودها

كان توماس قد رأى اودري آخر مرة منذ سبعة أعوام ، فراح الآن يتأملها
باهتمام ليرى مدى ما طرأ عليها من تغيير .

كان هناك تغيير بلا شك .. فقد أصبحت اودري اشد نحولا وشحوبا ..
ورقة .. ولكن لا اثر على وجهها لتجاعيد الهم والحزن كما كان يتوقع .
ونظر الى المرأة الأخرى .. الى الفتاة التي اتخذها نيفيل زوجة له .
كانت جميلة حقاً ، وخطرة ايضاً .. حتى انه قال لنفسه :

– انني لا اطمئن على اودري إذا انفردت بها هذه المرأة وبيدها خنجر .
ولكن لماذا تمقت اودري ؟ لقد انتهى كل ما كان بين اودري ونيفيل .
وفي هذه اللحظة ، سمع وقع اقدام ثقيلة تقترب ، ورأى نيفيل يصعد درج
السلم المؤدية من الحديقة الى الشرفة .

قال نيفيل وهو يالوح ببجعة في يده :

– ها هي البجعة المصورة .. اما البجعة الأخرى فلم اجدها .
ومنا حدث شيطان في نفس اللحظة إذا قالت كاي :
– حسناً اعطيها ..

بينما مدت اودري يدها وهي شاردة الذهن دون ان تحرك رأسها او
تنظر الى نيفيل .
ووقف نيفيل في منتصف المسافة بين المرأتين ، وظهرت وجهه دلائل
الارتباك .

وقبل أن يتكلم ، صاحت كاي بصوت مشحون بالمستريا :
– أعطينها .. أعطينها يا نيفيل .

وبهتت اودري . وحولت رأسها ، وسحبت يدها : وقالت بقليل جداً
من الارتباك :

– أنا آسفة يا نيفيل .. ظننتك تتحدث الي .
فخطأ نيفيل الى الأمام بسرعة ، وقدم البجعة لأودري .

ولكنها ترددت واشتدت حيرتها .. وهمت بأن تعتذر عن قبولها .
وفي هذه اللحظة ، دفعت كاي مقعدها الى الوراء بعنف ، وانبعثت
واقفة ... ودارت على عقبيها وانطلقت نحو الباب الموصل الى قاعة
الاستقبال

وكان دخولها مفاجأة لتوماس الذي ما كاد يتراجع خطوة حتى اصطدمت
به ..

وتراجعت كاي ونظرت اليه معتذرة ، وحينئذ أدرك توماس لماذا لم ترد ..
ولماذا ارتطمت به . فقد كانت دموع الغضب تملأ عينيها .
هتفت بصوت مرتجف :

— من أنت ؟ آه .. لا شك انك الرجل القادم من الملايو .

فقال توماس :

— نعم .. أنا الرجل القادم من الملايو .

فصاحت :

— ايتني كنت الآن في الملايو .. أو في أي مكان آخر غير هذا المكان .
انني امقت هذا البيت وكل ما فيه ومن فيه .
وكانت هذه المواقف تزعج توماس فأطرق برأسه ولم يجب .

قالت :

— خير لهما ان يكونا على حذر وإلا قتلت احدهما يوماً ما .

قالت ذلك وهرولت الى خارج الغرفة ، وأغلقت الباب وراءها بعنف .
وجد توماس في مكانه ولم يدر ماذا يفعل ، ولكنه أحسن بارتياح
لانصراف كاي .

وفيما هو ينظر الى الباب الذي توارت كان وراءه ، إذا به يسمع وقع اقدام
تقرب منه ورأى نيفيل سترينج .

وكان نيفيل يحتمن الوجه ، لاهث الانفاس ، فما ان رأى توماس حتى هتف .

— اهذا انت يا رويد ٠٠؟ لم اكن اعلم انك جئت ٠٠٠ هل رأيت زوجتي ؟

— انها مرت من هنا منذ لحظة .
فهرول نيفيل في اثر زوجته ، بينما خرج توماس الى الشرفة .
ولم تشعر به اودري إلا حينما اصبح منها قيد خطوتين ، وحينئذ وثبت من مكانها فوق حاجز الشرفة وفتفت وهي تبسط اليه ساعديها :
— توماس ٠٠ ايها العزيز توماس ٠٠ كم انا سعيدة بقدمك ٠٠
فأمسك بيدها ، ورفعها الى شفتيه .

— ٢ —

وجد نيفيل زوجته في غرفة نومها .
كانا يقيمان في جناح صغير خاص يتألف من غرفتين يصل بينهما باب ٠٠٠
وكان مخدع الليدي " تريسييليان " هو المكان الوحيد في القصر الذي يوجد به فراشان .
وسمعت كاي وقع اقدامه فرفعت اليه وجهاً مبللاً بالدموع وصاحت في غضب :

— اخيراً جئت ١١ .
— اخيراً جننت يا كاي ٠٠؟ لم كل هذه الضجة ؟
كان يتكلم بهدوء ٠٠ ولكن اختلاجة انفه كانت تم عن غضب مكظوم .
صاحت :
— لماذا اعطيتها المجلة المصورة ولم تعطينيها ؟
— الحق يا كاي انك ما زلت طفلة ١١ ٠٠ اتحدثين كل هذه الضجة من اجل مجلة مصورة تافهة ٠٠؟

فقال باصرار :

- انك قدمتها اليها ولم تقدمها لي .
- وما اهمية ذلك ؟ ..
- انه يهمني .
- الحق اني لا ادري ماذا دهاك ؟ .. هل من اللائق ان تتصرفي بهذه الطريقة المستيرية في بيوت الناس ؟؟ الا تعرفين كيف ينبغي أن يكون سلوك الانسان المذهب أمام الآخرين ؟ ..
- لماذا اعطيتها المجلة ؟
- لأنها كانت تريدها .
- كنت أيضاً أريدها . . وأنا زوجتك .
- وهذا ادعى الى اعطاء المجلة للمرأة التي اكبر سناً والتي لا تربطنا بها في الواقع أية صلة .
- انها انتصرت علي .. طلبت المجلة وقالتها ... انك وقفت في صفها ضدي .
- انت تتكلمين كطفل غيور أحمق .. فما لك من نفسك بحق السماء .
- وحاولي أن يكون سلوكك لائقاً أمام الناس .
- كسلوكها ؟ .

فقال ببرود :

- ان اودري على كل حال تعرف كيف تتصرف كسييدة مهيبة .
- انها تثيرك ضدي .. انها تمقتني وتريد أن تلتقم لنفسها .
- الاتكفتين عن الهديان يا كاتي ؟ .. لقد سئمت هذا الصغار .
- إذن هلم بنا نرحل من هنا .. لنرحل غداً .. انني أمقت هذا البيت .
- نحن لم نقض فيه سوى اربعة أيام .
- انها تكفي .. دعنا نذهب يا نيفيل .

— اننا جئنا لقضاء أسبوعين ، وسأقضي هنا أسبوعين .
 — سوف تأسف على ذلك يا نيفل .. سوف تأسف انت وأودري .. انك
 تعتقد انها امرأة رائعة ..
 — أنا لا أعتقد ان أودري امرأة رائعة .. وانما أعتقد أنها دمثة المخلق
 وكريهة ، وانني عاملتها بقسوة فقابلت ذلك بالصفح والغفران
 فقالت وهي تمتد جالسة في فراشها :
 — اذا ظننت ذلك فانت مخطيء .. ان أودري لم تغفر لك يا نيفل .. لقد
 وأيتها مرة أو مرتين وهي تنظر اليك خلسة . انني لا اعرف ما يدور بخلفها
 لأنها من أولئك الذين لا يدعون الآخرين يعرفون ما يدور بخلفهم ..
 — بما يؤسف له انه لا يوجد كثيرون من هذا الطراز .
 فتغير لون كاي وقالت :
 — أتعنينني بهذا الكلام ؟
 — انك لم تحاولي قط السيطرة على مشاعرك ، كلما خطر لك خاطر ينم عن
 النفيظ والحدقد سارعت الى الجهر به .. انك تجعلين من نفسك ومني سخرية
 للآخرين .
 فقالت ببرود .
 — هل تريد ان تقول شيئاً آخر ؟
 فأجابها بنفس البرود :
 — يؤسفني ان تظني انني اتعامل عليك .. ولكني لم أذكر سوى الحقيقة .
 .. انك لا تسيطرين على مشاعرك أكثر مما يسيطر الطفل .
 — أما انت فأنتك لا تغضب ابداً .. انت دائماً هاديه رزين حتى ليخيل
 الي في بعض الأحيان انك بلا شعور ... وانك مجرد ممكة باردة ؟ لماذا لا
 تطلق العنان لمشاعرك بين وقت وآخر ؟ لماذا لا تغضب وتثور في وجهي ..

وتطلب الي ان اذهب الي الجمع ؟
فتنهذ نيفيل ، ونظر الي السماء مستنجداً ، ودار على قدميه ، وغادر الغرفة

- ٣ -

قالت الليدي تريليان :
- انك تبدو غاماً كما كنت في السابعة عشرة من عمرك يا توماس .. نفس
الوجوم .. ونفس الصمت .. ولكن لماذا ؟

- لا أعلم .. اني لم أكن قط متحدثاً بارعاً .
- على عكس ادريان .. كان ذليق اللسان سريع الخاطر .
- لعل ذلك هو السبب .. فقد كنت أصفي اليه اكثر مما أتكلم .
- مسكين ادريان ! .. كان أمامه مستقبل عظيم .
فاطرق توماس برأسه وسارعت الليدي الي تغيير مجرى الحديث .
ولم يكن بالغرفة سواهما .. فقد اعتادت الليدي ان تقابل ضيوفها فرادى .
قالت :

- انك جئت منذ اربع وعشرين ساعة ... فماذا ترى في الموقف .
- الموقف ؟
- لا تتظاهر بالبلاهة .. أنت تعرف جيداً ما أعني .. انني أشير إلى
المثلث الأبدي الذي استقر بين ظهرانينا .

فقال في حذر :
- أخشى أن يحدث احتكاك ..
- دعني أعترف لك بأنني أجد في الموقف ما يبعث على التسلية ، لقد
بذلت قصارى جهدي لأحول دون اجتماع هؤلاء الثلاثة هنا . ولكن نيفيل
كان عنيداً ، وأصر على أن يجمع بين زوجته وها هو يحصد ما زرع

- لم أكن أوقع ان يفعل نيفيل شيئاً كهذا .
- من العجب أن ذلك كان رأيي أيضاً .. فهذا عمل لا يقدم عليه رجل له خلق نيفيل وطباعه . ان الرجال يحرصون عادة على تجنب المواقف المخرجة ..
ولذلك أعتقد ان نيفيل ليس صاحب الفكرة أصلاً . ترى هل هي فكرة أودري ؟

- كلا .. بتاتاً .
- انها كذلك لا يمكن أن تكون فكرة كاي ، إلا اذا كانت هذه الفتاة بمثابة بارعة .

- يخيل إلي انك لا تحبينها .
- كلا . فأنني أراها فتاة ناضجة ضحلة التفكير ، ولكفي بدأت أرثي لها فهي تنخبط وتتصرف دون وعي . ولا تعرف أي سلاح تستخدم سوى الغضب والحشونة ونفاد الصبر وهي أسلحة تحدث أثراً عكسياً في نفس رجل مثل نيفيل .

- أظن أن أودري هي الشخص الوحيد الذي يحيد نفسه في مركز دقيق .
فحدثته الليدي بنظرة خبيثة وقالت :

- انك كنت دائماً تحب أودري .. أليس كذلك يا قوماً ؟
- هي انني كنت أحبها .
- وكنت تحبها منذ الطفولة .
فاطرق برأسه علامة الایجاب .

قالت :

- ثم جاء نيفيل وخطفها منك .
فتحرك في مقعده بقلق وقال :
- كنت أعلم دائماً ألا أمل لي .
- يا لك من انهزامي !

- كانت أودري دائماً تدعوني (توماس الطيب) .
- بل كانت تدعوك (توماس المخلص) . .
فرممت ذكريات الطفولة على شفتيه ابتسامة سعيدة ، وغمغم قائلاً :
- انني لم أسمع هذا الاسم منذ سنوات عديدة .
فقالत الليدي .
- ان الاخلاص فضيلة تقدرها المرأة التي مرت بمثل التجارب التي مرت بها
أودري . . وكل غلص لا بد في النهاية أن يجني ثمرات اخلاصه .
- ذلك ما كنت أرجوه عندما جئت إلى هنا .

- ٤ -

لم تكن فترات الصمت التي تخيم عليهم في غرفة الطعام أمراً غير مألوف . .
بيد أن صمتهم في ذلك المساء طال أكثر مما ينبغي ، وأحست ماري ايلدن
بالتوتر والحرص اللذين يسودان جو الغرفة فقالت لتقطع حبل الصمت :
- لقد دعوت صديقك مستر لا تيمر لتناول طعام العشاء معنا غداً يا كاي .
فقال كاي :
- حسناً فعلت .
وقال نيفيل :
- لا تيمر ؟ هل هو هنا ؟
فأجابت كاي :
- انه يقيم بفندق ايسارهيد .
فقال نيفيل :
- إذن يجب أن نتناول العشاء هناك ذات ليلة . . متى ينتهي عمل قوارب
عبور النهر كل ليلة ؟

فأجابت ماري :
- في الساعة الواحدة والنصف صباحاً .
- أظن أنهم يقيمون حفلات راقصة في ذلك الفندق ؟
فقالت كاي :
- ان اكثر نزلاته تتراوح اعمارهم بين الثمانين والمائة .
- إذن فان الجو هناك ليس مسلياً لصديقك .
فقالت ماري بسرعة :
- لماذا لا نذهب ذات يوم للاستحمام في خليج (ايسترهيد) ؟ ان الماء
هناك دافئ والشاطئ رملي جميل .
فقال توماس رويد محدثاً أودري بصوت خافت :
- كنت أفكر في القيام بنزهة بحرية غداً فهل تأتين معي ؟
- انني أرحب بمثل هذه النزهة .
فقال نيفيل :
- لنتنزه جميعاً في القوارب غداً .
فقالت له كاي :
- كنت أظنك ستلعب الجولف غداً .
- ذلك ما كنت أريده فعلاً ، ولكنني تذكرت انني لم أكن في لياقتي
كاملة في المدة الأخيرة .
فقالت كاي ساخرة :
- يا لها من مأساة !
ولكن نيفيل تقبل سخريتها بصدر رحب وقال ضاحكاً :
- ان الجولف لعبة حافلة بالآسي .
وخشيت ماري ايلدن أن يتطور الحوار بين الزوجين إلى تراشق بالالفاظ
فقالت بسرعة :

- هل قلمعين الجولف يا كاي ..

- نعم .. ولكنني لا أجيده .

فقال نيفيل :

- ان كاي تستطيع التفوق في هذه اللعبة إذا بذلت بعض الجهد ..

فالتفت كاي الى أودري وسألها :

- هل لك أية هواية رياضية ؟

- انني أهوى التنس ولكنني لا أجيد اللعب .

فقال توماس :

- هل ما زلت تعزفين على البيانو يا أودري ؟

فهزت رأسها وأجابت :

- ليس في هذه الأيام .

فقال نيفيل :

- ولكنك كنت بارعة في العزف .

فقالت كاي لزوجها :

- كنت أظن أنك لا تحب الموسيقى يا نيفيل .

- أنا لا أعرف عنها الكثير . ولكنني طالما أعجبت ببراعة أودري

العزف على البيانو رغم صغر يديها .

قال ذلك ونظر الى يدي أودري وهي تضع السكين الى جانب صحفه-

الفاكهة . فاحمر وجه اودري وقالت بسرعة :

- ان يدي صغيرة .. ولكن خنصري طويل جداً .. واعتقد ان-

يساعدني في العزف .

فقالت كاي :

- أنت إذن أغانية .. ان طول الخنصر دليل على الأغانية .

- فقال ماري ايلدن :
- أحق؟ .. لا بد إذن انني لست أأثنية ، ان خنصري قصير جداً .
- فقال توماس رويد وهو ينظر اليها بمحبة :
- أظن انك لست أأثنية اطلاقاً .
- فاحمر وجهها وقالت بسرعة :
- دعونا نرى أيننا أكثر انكاراً لذاته . فانتقارن خناصرتا .. ان خنصري أقصر من خنصرك يا كاي .. ولكني أظن ان توماس يتفوق علي .
- فقال نيفيل :
- انني أتفوق عليكم جميعاً . انظروا .
- ومد إحدى يديه فقالت كاي :
- انك تتفوق بيد واحدة ، فان خنصر يدك اليسرى قصير ، أما خنصر يدك اليمنى فاطول كثيراً .
- فسألنها ماري ايلدن :
- هل تقرئين الكف يا كاي ؟ .
- ومدت اليها يدها واستطردت قائلة :
- قال لي أحد العرافين انني سأتزوج مرتين وسأرزق بثلاثة اولاد . فاذا صح ذلك فيجب أن اتمجل الزواج .
- فقال كاي وهي تنظر في يد ماري :
- هذه الصلبان الصغيرة تدل على عدد الرحلات . لا على عدد الاولاد ، انك ستقومين بثلاث رحلات عبر البحار .
- فقال ماري ايلدن :
- وهذا أيضاً بعيد الاحتمال .
- فسألها توماس رويد :
- هل سافرت كثيراً ؟ .

- كلا

وكان في صوتها رنة أسف فقال لها :

- هل تودين السفر ؟

- بل انني أتمناه أكثر من أي شيء آخر .

- هل أقمت مع الليدي تريليان مدة طويلة ؟

- منذ خمسة عشر عاماً ، أقمت معها عقب وفاة أبي ، وقد ظل أبي مريضاً طريح الفراش عدة أعوام قبل وفاته .

وصمتت قليلاً ، ثم أجابت على السؤال الذي أحست بأنه يفكر فيه ..
قالت :

- انني في السادسة والثلاثين من عمري . ليس هذا ما أردت معرفته ؟

- الواقع انه يتعذر علي من يراك ان يقدر سنك .

- هذه ملاحظة لها حدان .

- أعتقد ذلك ولكنني لم اتعمدها .

ولم يحول عينيه عن وجهها ، ولم تشعرها نظراته بالحرج او الإرتباك ...
وعندما استقرت عيناه على شعرها ، رفعت يدها الى الخصلة البيضاء وقالت :

- هذه يرجع عهدا الى ايام الصبا

فقال ببساطة :

- انها تعجبني .

وظل ينظر اليها ، فقالت وهي تبسم :

- والآن .. ما حالك النهائي ؟

فاحمر وجهه وأجاب :

- أظن انه لم يكن من الكياسة أن انظر اليك على هذا النحو ، ولكنني

كنت أود أن اعرفك على حقيقتك

فنهضت عن المائدة . وقالت وهي تسير الى قاعة الاستقبال متأبطلة

ساعد اودري :

- ان مستر تريفز سيتناول العشاء معنا غداً .

فقال نيفيل :

- ومن يكون مستر تريفز هذا ؟

- انه محام عجوز يقيم بفندق بالمورال ، وقد جاء برسائلته تعريف من مستر رافاس لورد ، وهو مريض بالقلب وضعيف البنية ولكنه حاضراً البدنية ويعرف كثيراً من الشخصيات الهامة .

- ٥ -

كان الطعام شهياً والنبيذ جيداً ، والخدمة لا غبار عليها ، مما جعل مستر تريفز يغبط الليدي تريسليا في سره على توفيقها مع خدمها ، فقد كان كل شيء يجري بنظام رغم مرض صاحبة القصر .

ودار مستر تريفز ببصره بين الضيوف ، واستقرت عيناه على الصبية الفاتنة زوجة نيفيل سترينج .

كان جمالها يتألق في ضوء الشموع التي تنير قاعة الطعام وكانت تدني رأسها بين الفينة والفينة من رأس إدوارد لايمر الذي يجلس بجوارها وتضحك في سرور ومرح وتدير البصر فيمن حولها كما تفعل المرأة التي تثق بنفسها وتشعر بأنها سيدة الحفل .

وأحسن مستر تريفز أمام هذه الفتنة الطاغية والحيوية المتدفقة بأن دم الشاب يجري في عروقه من جديد ، وقال لنفسه :

- لا عجب إذا كان زوجها قد فقد صوابه وهجر زوجته الأولى .

وكانت أودري تجلس بجواره ، وقد أحسن لأول مرة بأنها سيدة مهذبة على خلق عظيم .. ولكنه كان يعلم بخبرته أن هذا النوع من النساء هو الذي

يهجر الأزواج .

نظر إليها من ركن عينه ، ورآها مطرفة برأسها تنظر الى الطبق أمامها دون أن تحرك ساكناً . وتساءل ترى فيم تفكر ؟ .

وشرع الضيوف في الانتقال من قاعة الطعام الى غرفة الاستقبال ، وأدارت كاي الجرامافون ليرسل أنغام موسيقى احدى الرقصات . فالتفتت ماري إيلدن الى مستر تريفز وقالت معتذرة :
- لا شك انك تكره موسيقى الجاز .

فقال كاذباً ولكن في أدب :

- كلاً .. اطلاقاً .

- سنلعب البريدج ، ولكن فيما بعد ، فأني أعلم ان الليدي تريليان سترسل في طلبك .

وكانت كاي تنهادى في وسط الغرفة ولم تلبث ان قالت بلهجة الأمر ، وعيناها تتألقان :

- انتقل هذه المائدة من هنا يا نيفيل .. حتى يتهاى مكان للرقص .

فأطاع نيفيل ، ونقل المائدة من مكانها ، ثم تقدم نحو كاي ، ولكنهما أعرضت عنه عمداً ، وقالت :
- تعال يا إدوارد . دعنا نرقص .

فخفف اليها إدوارد على الفور ، وأحاط خصرها بساعده ، ورقص الاثنان معاً رقصة تناسقت فيها خطواتها وحركاتها تناسقا آثار الأعجاب ، وحمل مستر تريفز على أن يتمتم قائلاً :

- ما أروع رقصها ... كأني بيها من المحارفين .

ومعتمه ماري إيلدن ، ونظرت الى وجهه المجدد ، لعلها تفهم ماذا عني بعبارة .. ولكن المعجوز كان مستغرقاً في التفكير .

قالت لكي تخرجه من صمته
- ان الجود دافئ بالنسبة لهذا الشهر من السنة اليس كذلك ؟ .

فقال :

- آه .. حقاً .. رغم ان المزارعين في هذه المنطقة بحاجة الى الامطار .
هكذا قيل لي في الفندق .

- هل أنت راض عن الإقامة في فندقك ؟ .
- نعم . رغم انني تضايقت كثيراً عندما .
ولم يتم عبارته . فقد رأى نيفيل ينهض من مقعده ويتردد لحظة ثم يقترب
من أودري التي كانت تطل من النافذة ..

وهناك قال لها في أدب وبصوت فاتر :

- هل ترقصين يا أودري .

فترددت أودري قليلاً قبل ان تطرق برأسها موافقة ، وصال الاثنان بضع
دقائق ، وفجأة قالت أودري وهي تضحك .

- ان الحر شديد ولا يشجع على الرقص

وابتعدت عن نيفيل وخرجت الى الشرفة . فتمنعت ماري إيلدن :

- اتبعها أيها الغبي !! .

وعلى الرغم من ان صوتها كان خافتاً ، فقد سمعها مستر تريفز ونظر اليها في
دهشته فارتبكت واحمر وجهها وقالت ضاحكة :

- كنت أفكر بصوت مرتفع . فان بطاء يغيظني

- من تعنين ؟ . مستر سترينج ؟ .

- كلا .. أعني توماس رويد .

وم توماس باللعاق بأودري في الشرفة ولكن نيفيل سبقه اليها .

وأرسل مستر تريفز بصره الى الشرفة لحظة ثم رده الى الراقصين وقال :

- ان مستر لاتيمل راقص بارع .. هل هو صديق قديم لمستر سترينج ؟ ..

- نعم .
- هل يزاول هذا الشاب الأنيق الوسم عملاً ما ؟ .
- الحق انني لا أعلم .
فهز مستر تريفز رأسه مراراً بطريقة لها مغزاها ، واستطردت ماري
إيلدن قائلة :
- انه يقيم بفندق ايسترهيد .
- ان رأسه بارز الى الخلف على نحو يلفت النظر ، ولكنه يحاول ان
يحجب هذا البروز بطريقة الخاصة في تصفيف شعره .
وصمت قليلاً ، ثم استطرد قائلاً :
- آخر رجل رأيت له مثل هذا الرأس حكم عليه بالاشغال الشاقة لاعتدائه
على تاجر مجوهرات عجوز .
- لا شك انك لا تعني ..
فقاطعها قائلاً بسرعة :
- كلا . على الإطلاق .. انك تسيئين فهمي . فما قصدت التعريض
بأحد ضيوفك إنما أردت ان اقول ان المجرم العتيد والشاب الأنيق الظريف
يمكن ان يشتركا في بعض الصفات الجسدية .
فنظرت اليه طويلاً . وقالت .
- إنك تخيفني يا مستر تريفز .
- احقاً ؟ .. ولماذا يا سيدتي العزيزة ؟
- انك قوي الملاحظة .. ولا يفوتك شيء .
- الواقع ان عيني لم يدركها ضعف او وهن .. ولا ادري هل ذلك من
حسن الحظ أو من سوءه .
- كيف يمكن ان يكون ذلك من سوء الحظ ؟ .
- ان قوة الملاحظة تضع الانسان احياناً في موقع المسؤولية ، حيث يتعذر
عليه اتخاذ القرار السليم

وفي هذه اللحظة دخل كبير الخدم حاملاً اقداح القهوة فأومأت اليه ماري
إيلدن بأن يضعها على احدى الموائد ..

وقالت كاي وهي تراقص لاتيما :

- سأتناول القهوة بعد الفراغ من هذه الرقصة .

وقالت ماري :

- سأحبل الى اودري قدحاً .

وحملت القدح وسارت به الى الشرفة وتبعها مستر تريفز وأطل من فوق
كتفها ، فرأى اودري جالسة على حاجز الشرفة ، واشعة القمر تضيء وجهها
وتبرز جمال تقاطيعه ونبل قسباته .

كانت ساكنة صامتة لا تأتي بحركة ولا تنطق بكلمة .. ونيفيل علي كتب
منها يتفرس في وجهها ولا يحول عينيه عنها .

وأخيراً خطا نيفيل خطوة الى الأمام وبدأ يتكلم .

قال :

- الحق يا اودري ، انك .. ولكنها وضعت اصبعها على اذنها ووثبت من
مكانها فجأة وهي تقول :

- قرطي .. لقد اضعت قرطي ..

- اين ؟

وانحنى الانسان للبحث عن القرط ، وارطم رأسها وتراجعت اودري
على الفور فصاح نيفيل :

- صبرا لحظة ، لقد اشتبك زر كمي بجداول شعرك ، لا تتحركي ، وأخذ
يحاول تخليص شعرها من زر الكم ، فقالت بعد قليل :

- اسرع .. وكن على حذر ، انك تقتلع شعري من جذوره .

... أنا آسف يا اودري .

وفي ضوء القمر الساطع ، رأت ماري إيلدن ومستر تريفز أن اصابع نيفيل

ترتجف بشدة وهو يحاول فصل زركمه من شعر اودري .
وفي هذه اللحظة .. شق توماس رويد طريقه بين ماري وتريفز ومضى
الى حيث كان نيفيل واودري وقال :
- هل تسمحان لي بمساعدتكما ؟
فقال نيفيل :
- شكراً .. لقد نجحت أخيراً .
ورفعت اودري رأسها وتراجعت قليلاً .
ولاحظ توماس ان رجفة مرت يحسدها فقال لها :
- هل تشمرين بالبرد ؟ هلمي الى الداخل لتتناولي قهوتك .
ورافقها الى قاعة الاستقبال في اللحظة التي فتحت فيها باب الفاعة ، ودخلت
امراً طويلاً القامة ترتدي ثوباً أسود .
قالت المرأة باحترام :

- يسر الليدي تريسيليان ان تستقبل مستر تريفز في غرفتها .
كان سرور الليدي تريسيليان بقاء مستر تريفز واضحاً . ولم تمض بضعة
دقائق على اجتماعهما حتى كانا يخوضان معاً في خضم الذكريات .
وأخيراً انتهت الليدي بارتياح وقالت :
- لقد امتعني حديثك يا مستر تريفز . فليس أجمل من الحديث عن
الماضي . وإزالة الغبار عن الفضائح القديمة .
فقال تريفز

- ان الحديث عن فضائح الناس وان يكن خطيئة . إلا انني أعده
من توابل الحياة .
- بهذه المناسبة يا مستر تريفز . ما رأيك في النموذجنا الطريف من
المثلث الأبدي ؟

فنظر اليها في فضول وسأل
- اي مثلث ؟

- لا تزعم انك لم تلاحظ شيئاً . انني أعني نيفيل سترينج وزوجتيه .
 - آه .. ان مسز سترينج الجديدة سيدة رائعة الجمال .
 - وكذلك أودري .
 - نعم .. انها ظريفة .
 - هل تريد ان تقول انك تجد مبهراً لأن يترك الرجل امرأة ذات شخصية
 نادرة .. مثل أودري . من أجل مخلوقة مثل كاي ؟
 فأجاب بهدوء :
 - نعم .. ذلك يحدث غالباً .
 - لو انني كنت رجلاً لستمت كاي بعد وقت قصير ولندمت على حماقتي .
 - وذلك أيضاً يحدث غالباً . ان الافتتان الفجائي قلما يعمر طويلاً .
 - وماذا يحدث بعدئذ ؟
 - يحدث عادة أن يحدد كل من الطرفين موقفه .. وغالباً ما يقع الطلاق ،
 ويتزوج الرجل للمرة الثالثة . من امرأة تعطف عليه .
 - هراء ! ان نيفيل ليس من هواة تعدد الزوجات .
 - يحدث احياناً أن يعود الزوج الى زوجته الأولى
 فهزت الليدي رأسها وقالت :
 - كلا . ان كبرياء اودري وكرامتها يحولان دون ذلك
 - لقد عرفت من خبراتي أن المرأة تتنكر لكل اعتبارات الكرامة فيما
 ينصل بالحب . انها تتشدد بالكرامة ولكنها لا تقيم لها وزناً في تصرفاتها .
 - أنت لا تعرف أودري ، انها كانت تحب نيفيل حباً عنيفاً ، فلما هجرها
 من أجل الفتاة - ولست ألومه على ذلك كل اللوم فقد طاردته الفتاة بالحاح حتى
 اقتنصته - أكدت انها لا تريد أن تراه مرة أخرى
 فسلم مستر تريفز بهدوء وقال :
 - ومع ذلك فانها قدمت إلى هنا .

- لست أزعم انني أفهم الأفكار الحديثة . ولكني أعتقد أن أودري انما جاءت الى هنا لكي تعلم الجميع انها لا تحفل بنيفيل .
- ربما .. ولكني أشعر بأن في الجو قلقاً وتوتراً ..
- هل شعرت بذلك أنت أيضاً ؟
- انني لا أعرف أحاسيس الأطراف ذات الشأن ، ولكني أشعر كأن في هذا القصر برميل بارود يمكن أن ينفجر في أية لحظة .
- دعك من الاسراف في التشاؤم وحدثني . ماذا ينبغي أن أفعل ؟
- انني لن اطالب أودري بالرحيل ، فقد كان سلوكها في هذا الموقف الدقيق سليماً ومهذباً ، ولا غبار عليه .
- هذا صحيح . ولكن سلوكها رغم استقامته .. له تأثيره الواضح على نيفيل سترينج .
- ان نيفيل سيء التصرف ، وسوف أصارحه بذلك .. ولكني لا استطيع أيضاً ان اطالبه بالرحيل فقد كان ماتيوي يعتبره كأبيه .
- أعلم ذلك .
- وهل تعلم ان ماتيوي مات غرقاً ؟
- نعم .
- لقد دهش الكثيرون لانني لم انتقل من هذا القصر بعد وفاة ماتيوي .. ولكني في الواقع أشعر بماتيوي على مقربة مني هنا . ان القصر مليء به .. ومن الحق انني سأشعر بالوحدة والعزلة اذا أقمت في أي مكان آخر .
كنت أرجو في البداية أن الحق به بسرعة ، خاصة حين اعتلت صهتي ، ولكن يبدو انني من اولئك المرضى المؤيدين الذين لا يموتون أبداً .
وتنهدت بحزن واستطردت قائلة :
- كنت أتمنى ، متى حانت ساعتي ان أرى الموت وجهاً لوجه ، لا أن أشعر به يتسلل من ورائي فأهبط الى درك أدنى عقب كل مرض حتى أصبح

عالة على الآخرين

- أنت لست عالة على أحد .. الجميع هنا يخلصون لك . هل لديك وصيفة أمينة ؟

- لدي جين باريت .. المرأة الطويلة التي استدعتك لمقابلتي . انها حازمة ومخلصة .. وقد قضت في خدمتي سنوات عديدة .

- من حسن حظك ان لديك كذلك مس ماري ايلدن .

- أصبت .. وأنا سعيدة بوجودها معي .

- هل هي إحدى قريباتك ؟

- انها تلتسب الى امري من بعيد ، ومن ابرز صفاتها انكار الذات . فهي من اولئك الذين يضعون بحياتهم من أجل الآخرين .. كانت تعني بأبيها المريض فلما مات رجوتها ان تقيم معي ، واني أبارك اليوم الذي جاءتني فيه . انها ذكية ورزينة وواسعة الاطلاع ، وفي استطاعتها ان تناقش اي موضوع يطرح للبحث . وهي فضلا عن ذلك مدبرة من الطراز الأول . تعرف كيف تسوس الخدم دون ان تثير عوامل الخلاف والغيرة بينهم .. واني لأعجب كيف تستطيع ذلك .. لا شك انها على جانب كبير من الكياسة .

- هل تقيم معك منذ وقت طويل ؟

- منذ نحو ثلاثة عشر او أربعة عشر عاماً .

وهنا أطرق مستر تريفز برأسه .. ونظرت اليه الليدي تريسيليان من ركن عينيها خلسة ثم قالت بغتة

ماذا بك ؟ هل هناك ما يشغلك ؟

- كلا . كنت افكر في امر ثقافه ولكنك قوية الملاحظة يا سيدتي .

- انني مولعة بدراسة الناس . وكنت دائماً ألاحظ ماتيو وأعرف ما يدور بخلفه .

ثم تنهدت واستلقت على فراشها وقالت

- يجب ان اودعك الآن أيها الصديق فانني متعبة .
ولكنك أمتعني بهذا اللقاء .. وأرجو أن اراك مرة أخرى قريباً .
- بقي بأنني سأستغل كرم ضيافتك ورحابة صدرك وكل ما أرجو ألا
أكون قد أثقلت عليك بالحديث .
- كلا . كلا .. انني دائماً أشعر بالتمتع فبجاءة ، هل لك أن تدرس الجرس
قبل أن تنصرف ؟
وأشارت الى شريط يتدلى فوق الفراش فقال مستر تريفز :
- هذا النوع من الإجراس قد عفا عليه الزمن .
- انني لا أطيق الإجراس الكهربائية ، فهي سريعة التلف ، اما هذا
النوع من الإجراس فانه لا يعطب أبداً ، انني أجذب هذا الشريط فيندق الجرس
المتدلي فوق فراش جين باريت . فتلي دعوتي دون إبطاء .
فجذب مستر تريفز الشريط وغادر الغرفة . وما كاد يسير بضغ خطوات
حتى رأى جين باريت تهبط درج السلم مسرعة .

* * *

وعاد تريفز الى قاعة الاستقبال ، وما أن ابصرت به ماري إيلدن حتى
اقتрحت ان يلعب الجميع البريدج . ولكن المحامي المعجوز رفض بأدب بحجة
أنه سينصرف بعد قليل .
- قال : ان أصحاب الفندق الذي أقم فيه يطالبون النزلاء بالعودة قبل
منتصف الليل .
فقال نيفيل :
- ولكن الساعة الآن العاشرة والنصف ، هل تتوقع ان يوصدوا باب الفندق
قبل عودتك .

- كلا ، بل وأشك في انهم يرصدونه في أي وقت .. انهم يطلقون الباب
وما على القادم إلا ان يحرك المقبض ويدخل .. ويخيل إلى أن أهل هذه
المنطقة قوم أمناء .

فقال ماري إيلدن :
- الواقع أن لا احد هنا يعلق بابه نهراً ، ان بابنا يظل مفتوحاً طول النهار
ولكننا نوصده أثناء الليل .

فقال ادوارد لاتيير :
- كيف الحال في فندق بالمورال ؟ ان مبتاه يبدو شديد الكآبة .
فقال تريفز .
- ولكنه يجمع كل وسائل الراحة ، اسرة كبيرة . وطعام جيد . ودواليب
ضخمة ، وحمامات فسيحة ..

فقال ماري إيلدن :
- أذكر انك قلت ان شيئاً ما قد ضايقك عندما ذهبت الى هذا الفندق .
- الواقع ... انني كتبت اليهم طالباً أن يحجزوا لي غرفتين بالطابق
الأرضي لأنني مريض بالقلب ومحظور عليّ أن ارقى السلم ، وعندما ذهبت
الى الفندق وجدت أن جميع الغرف بالطابق الأرضي مشغولة . وانهم حجزوا
لي غرفتين بالطابق الثاني . فكدت أن احتج وأعود من حيث أتيت ولكنني
وجدت أن بالفندق مصعداً مريحاً ..

فقال كاي :
- لماذا لا نقيم في فندق بالمورال يا إدوارد لكي تكون اقرب إلينا ؟

فأجاب الشاب :
- انه فندق عتيق ولا أظنه يلائمني .
فقال تريفز :
- أصبت يا مستر لاتيير ، انه لا يلائم امثالك .

فاحمر وجه الشاب وقال :

- ماذا تعني يا سيدي ؟ ..

وأشفقت ماري إيلدن من ان يتطور الحوار بين الرجلين فقالت بسرعة :

- قرأت انهم اعتقلوا أحد الاشخاص في قضية الحقيبة التي عثر عليها في

(كنتش فاوت وبها جثة فتاة ..

فقال نبغل :

- هذا ثاني شخص يمتقلونه وقد ثبتت براءة الأول ، فأرجو أن يكونوا

قد وفقوا الى الفاعل الحقيقي هذه المرة .

فقال مستر تريفز :

- ق لو كان هو الفاعل الحقيقي فانهم لن يستطيعوا اعتقاله طويلا .

فسأله رويد :

- لماذا ؟ ..

لعدم كفاية الأدلة ؟ ..

- نعم .

فقال كاي

- انهم يجدون الأدلة دائما في النهاية .

فقال تريفز :

- ليس دائما يا مستر ستارينج . وسوف تدهشين إذا عرفت عدد الاشخاص

الذين ارتكبوا جرائم قتل . . وما زالوا يعيدشون أحراراً لا يعارض طريقهم

أحد .

- لأن أحداً لا يعرف انهم الفاعلون ؟

- ليس ذلك فقط ..

وضرب مثلا بقضية شغلت الرأي العام منذ سنتين فقال :

- ان البوليس يعرف الرجل الذي قتل اولئك الاطفال . بل ويعرفه على

وجه اليقين ولكنه لا يستطيع حياله شيئا ، فقد شهد شخصان بأن المتهم

كان بعيداً عن مكان الجريمة وقت حدوثها ، وعلى الرغم من ان البوليس يعلم انها شاهدا زور إلا أنه لم يستطع اقامة الدليل على ذلك .. وما زال القاتل حراً طليقاً :-

فدق توماس رويد غليونه وقال :

- هذا يؤيد فكرة جالت بخاطري ، هي انه يحق للانسان في ظروف معينة ان يجعل من نفسه قاضياً وجلاداً وينفذ حكم العدالة بنفسه .

- ماذا تعني يا مستر رويد .

- هب انك علمت ان رجلاً ارتكب عملاً يخالف القانون ، وان القانون لا يستطيع النيل منه لسبب أو لآخر . أفلا يجوز لك أن تقتص منه بنفسك ؟
- هذا مبدأ شديد الخطورة يا مستر رويد .

- انني افترض ان الحقائق ثابتة .. وان القانون عاجز .

- ذلك لا يبرر أن يقوم الفرد بوظيفة القانون .. اننى اعرف قضية . وصمت لحظة ثم استطرده معتذراً :

- انني من هواة علم الجريمة .

فقال كاي :

- امض في حديثك يا مستر تريفز .. ماذا أردت ان تقول ؟ ..

- لقد مر بي كثير من قضايا الجرائم .. كان عدد ضئيل منها جديراً بالاهتمام وسأحدثكم الآن عن احدها .

ثم راح يتكلم ببطء ووضوح .. قال :

- القضية التي سأحدثكم عنها بطلها طفل .. ولن اذكر اسمه أو سنه .. واليكم الحقائق :

كان طفلان يلعبان بالأقواس والسهام ، فأطلق أحدهما سهمها أصاب الآخر في مقتل وصرعه على الفور .

وجرى تحقيق مع الطفل ، ولكنه كان في حالة يرثى لها من الخزن

والأسى والأسف بحيث أصبح موضع عطف الجميع .

. وصمت مستر تريفر فصح لاتيبر :

— وانتهى الأمر ؟

-- نعم .. انتهى الأمر .. كان حادثاً يؤسف له وقع قضاء وقدرأ .. ولا حيلة للقالون فيه . ولكن كان للقصة وجه آخر .. فقد حدث قبل ذلك ببضعة أيام ان كان احد المزارعين يمر بغابة قريبة فشاهد طفلاً يتدرب على استعمال القوس والسهم .

وصمت تريفر مرة أخرى ليسمح لمقول السامعين باستيعاب هذه الحقيقة .

فهمت ماري :

— هل تعني ان الحادث لم يكن قضاء وقدرأ ، وإنما كان متعمداً ؟ .

— لا أعلم .. ولا استطيع أن اقطع برأي .. فلقد قيل في التحقيق أن الطفلين لم تكن لها دراية باستخدام الأقواس والسهم . وان الحادث وقع نتيجة لذلك .

— وما قيل لم يكن صحيحاً ؟

— لم يكن صحيحاً بالنسبة الى أحد الطفلين على الأقل .

فقال أودري بصوت خافت :

— وماذا فعل المزارع ؟ .

— لم يفعل شيئاً . ولست أدري هل اخطأ بذلك أم أصاب .. كانت مستقبل الطفل المتهم في خطر .. ولعل المزارع قد رأى أن من حق الطفل ان يمنح فرصة الأفادة من الشك .. لأن المزارع لم يكن واثقاً من ان الطفل الذي رآه في الغابة هو نفس الطفل المتهم .

فقال أودري :

— وأنت ؟ .. هل خامرك أي شك في حقيقة ما حدث فعلاً ؟ .

— انا شخصياً أعتقد ان الحادث كان جريمة قتل بارعة ، دبرت بمهارة ،

وقت دراستها جيداً قبل تنفيذها .

- وما، كان لها سبب ؟

- كان سببها الماكسات والألفاظ غير الكريمة التي يتبادلها الأطفال .
فتشير كراهية بعضهم لبعض .. ان الكراهية تتولد في نفوس الأطفال بسهولة .
فقلت ماري :

- ولكن تدبير الجريمة .. والأصرار على تنفيذها ؟

- نعم .. تدبير الجريمة .. ونية القتل .. والتدريب يوماً بعد يوم على
على إطلاق السهم واصابة الهدف . ثم التظاهر بالحزن واليأس بعد الجريمة .
كلها أمور لا يمكن أن يصدقها عقل .. ولو قد طرحت أمام المحكمة
لما صدقتها .

فسألت كاي في فضول :

- وماذا كان مصير هذا الطفل ؟

- بعد الضجة التي أثارت في الصحف حول القضية ، رأي أهل الطفل ان
من الأفضل تغيير اسمه .. وتم لهم ذلك ، وقد أصبح الطفل الآن رجلاً ناضجاً
يعيش في مكان ما على سطح هذه الأرض .. ولكن المسألة الآن .. هي هل لا
يزال يحتفظ بنزعاته الاجرامية ؟

وأطرق مستر تريفز برأسه مفكراً ، ثم استطرده قائلاً :

- لقد مضت سنوات عديدة . ولكنني أستطيع التعرف على القاتل
الصغير حالماً يقع عليه بصري في أي مكان .

فهتف رويد بلهجة من لا يصدق ما سمع :

- أيمن هذا ..

فأجاب تريفز :

- نعم .. فان في جسده علامة مميزة .. ولكن دعنا من الحديث في هذا
الموضوع .. انه ليس من الموضوعات السارة .. أظن انني يجب ان اعود الى
فندي الآن .

ونفض واقفاً فقالت ماري :
- ألا تتناول شيئاً من الشراب يا مستر تريفز ؟
وكانت صفحة الشراب على المائدة ، فقال توماس رويد ..
- هل لك في قدح من الوسكي يا مستر تريفز ؟ . وانت يا مستر لاتيمر ؟ .
وقالت أودري :
- انني متعبة .. ساذهب لانا .
وقالت ماري :
- وأنا أيضاً .. ارجوك العناية بمستر تريفز يا توماس .
وقالت كاي وهي تتأثب :
- أكاد ان اسقط من الأعياء .. طاب مساؤكم .
وانصرفت النساء الثلاث ، وقال لاتيمر يحدث مستر تريفز :
- سأسير معك في نفس الطريق يا مستر تريفز .. لأنه يؤدي الى حيث
يوجد زورق العبور .

- سوف يسرني ان أكون برفقتك يا مستر لاتيمر .
وقضى تريفز اللحظات التالية في ارتشاف الويسكي والاستفسار من توماس
رويد عن الحياة في الملايو .. ولم يلبث لاتيمر ان احس بالسأم فاستأذن للخروج
الى الشرفة حيث كان نيفيل وشيعه تريفز يبصره حتى خرج ثم قال :
- هذا الشاب كثير الحركة ولا يقر له قرار .. هل هو صديق لمستر
سترينج ؟ .

فقال رويد مصححاً :
- لمستر كاي سترينج .
- هذا ما اعنيه ... فانه ليس الطراز الذي ترتضيه مسز أودري سترينج
صديقاً .. هل انت صديق لمستر اودري يا مستر رويد ؟ .
- نعم ..

– لا بد انها كانت على جانب كبير من الجمال وهي شابة .
فاطرق توماس برأسه ولم يجب .

قال الحامي الشيخ :

– ان وجود الزوجتين تحت سقف واحد يضع أودري في مركز دقيق
فقال توماس وقد احمر وجهه :
– بل غاية في الدقة والخرج .
فانحنى تريفز الى الأمام وقال بحدة :
– ولماذا جاءت يا مستر رويد ؟
– أعتقد انها .. انها لم تشأ ان ترفض .
– ترفض ماذا ؟

– الواقع انها اعتادت القدوم الى هذا القصر في شهر سبتمبر من كل عام .
– ورغم ذلك اقدمت الليدي ترسيليان على دعوة نيفيل وزوجته الجديدة
للاقامة عندها في نفس الشهر ؟
– أعتقد ان نيفيل هو الذي طلب ذلك .
– تعني انه كان يرغب في هذا اللقاء بين الزوجتين ؟
– هذا ما أظنه .

وفي هذه اللحظة أقبل نيفيل ولايمر من الشرفة فقال تريفز وهو ينهض :
– أظن انني يجب ان أنصرف ..
قال ذلك وارتدى معطفه وودع نيفيل ، وغادر البيت في طريقه الى
فندق بالمورال وبرفته ادوارد لايمر وتوماس رويد .
وكان الفندق يقع على مسافة مائة متر ، بينما كان مرفأ زورق العبور يبعد
نحو ثلثمائة متر .

ففتح تريفز باب الفندق ودخل وتبهم الرجلان . وكان البهو معتماً لا
يضيئه سوى مصباح واحد صغير . وفجأة ، افلتت من تريفز آهة تدل على

الضيق ، فقد رأى على باب المصعد ورقة كتب عليها :

« المصعد معطل » .

قال المحامي العجوز :

- يا الهي ! . يجب ان اصعد كل هذه الدرجات ا

فقال رويد :

- ألا يوجد مصعد آخر لنقل البضائع والحقائب ؟ .

- كلا .. انهم يستخدمون هذا المصعد في جميع الأغراض .. لامناس من

ان اصعد سيرا على قدمي .. ولكني سأسير ببطء .. طاب مساؤكما .

- V -

قالت ماري ايلدن :

- ما أشبه اليوم بأيام الصيف ا .

كانت تجلس مع اودري على شاطئ البحر أمام شرفة فندق (إيسترهيد) وكانت اودري ترتدي ثوب استحمام فاصع البياض تبدو فيه أشبه بتمثال من الرخام .. بينما كانت كاي مستلقية على وجهها فوق الرمال على بعد خطوات منها . .

وسمعت كاي عبارة ماري ايلدن فاعتدلت جالسة وقالت :

- ولكن الماء بارد كالثلج .

فقالت ماري :

- لا تنسي اننا في شهر سبتمبر .

- كم أود الآن ان أكون في جنوب فرنسا .. ان الجو هناك في مثل هذا

الوقت من السنة دافئ تماما .

فقال ادوارد لاتيـر .. وكان يعبث بالرمال عند قدمي كاي .
- ان الشمس في إنجلترا ليست شمساً على الإطلاق .
فـقالت ماري :
- الا تنوي النزول الى الماء يا مستر لاتيـر ؟
فضحكت كاي وقالت :
- ان ادوارد لا ينزل ابداً إلى الماء .. انه يحب الاصطلاء في الشمس كالشعبان .
ثم نهضت وهي تقول :
- انني اشعر بالبرد .. هلم بنا يا ادوارد .
وابتعدا معاً فقالت ماري وهي تشيعها ببصرها :
- كالشعبان حقاً !
فسألتها أودري :
- اهـذا رأيك فيه ؟
فلم تجبها ماري وقالت وهي ترقب كاي وادوارد :
- ما اخلق كل منها بالآخر .. انها يجبان نفس الأشياء ، ولهما نفس الآراء ويتكلمان بنفس الأسلوب .. ان من بواعث الأسف حقاً ان ..
وكفت عن الكلام ، فسألتها أودري بحدة :
- ان ماذا ؟
- . ان نيفيل قابلها .
فاعتدلت أودري في جلستها ورمقها بنظرة صارمة ، واستدركت ماري على الفور قائلة :
- انا آسفة يا اودري . ما كان يجب ان أقول ذلك .
- ارجوك الاتخوضي في هذا الموضوع مرة أخرى .
- انا آسفة حقاً .. ولكني كنت أظن ان الأزمة انتهت وانك تغلبت عليها .

- أوكد لك أنه لم تكن هناك أية أزمة . وان الموضوع لم يترك في نفسي
أي أثر .. انني اتقن لنيفيل وكاي كل توفيق وسعادة .
ومرت يحسدها رعدة فسألتها ماري :

- هل تشعرين بالبرد ؟ .

- نعم .. وأظن أنه يحسن بي ان ارتدي ثيابي .
قالت ذلك ونهضت ، وبقيت ماري وحدها فتمددت على الرما وانغمضت
عينها .

كلوا جميعاً قد قضوا يوماً ممتعاً على الشاطئ ، وتناولوا طعام الغداء في
الفندق الذي كان يمج بالزلاء رغم انصراف الصيف .. واحسوا بلذة الراحة
والاسترخاء بعيداً عن القصر وجوه المشحون بعوامل القلق والتوتر

* * *

وانتهت ماري ايلان من تأملاتها على حركة بالقرب منها ، فرقمت رأسها
ورأت ادوارد لا تيمر يلقي بنفسه على الرمال يحوارها . فسأله .

- ماذا فعلت بكاي ؟ .

فأجابها بإيجاز :

- اخذها صاحبها الشرعي .

وكان في صوته ولهفته ما جعلها تعتدل جالمة وترسل بصرها إلى حيث
كان نيفيل وكاي يسيران الهويناء على حافة الماء . ثم نظرت بسرعة الى ادوارد ..
كانت الصورة التي انطبعت في ذهنها عنه انه شاب منحرف غريب الأطوار
ولكنها أحست الآن بأنها أمام انسان جريح موقور فقالت لنفسها :
- لا شك انه كان مولعاً بكاي . ثم جاء نيفيل فانزعجها منه .

قالت له بلطف :

- أرجو ان تكون قد استمتعت بإقامتك هنا .
- كانت عبارتها دارجة مألوقة .. ولكن صوتها كان رقيقاً ودوداً وينطوي على دعوة الى التفاهم والصدقة واستجواب الشاب للدعوة وقال :
- ليس أكثر مما لو أقمت في أي مكان آخر .
- انني آسفة !.
- ولماذا الأسف ؟. وماذا همك من أمر انسان غريب عن بيتكم ؟.
- وأحست بما في اجابته من مرارة ، وقرست طويلاً في وجهه الوسم وقالت :
- أرى انك لا تحبنا .
- فضحكك ضحكة قصيرة وأجاب :
- وهل كنت تتوقعين ان احبك ؟
- كنت أظن اننا رحبنا بك وأكرمنا وفادتك كصديق لكاي .
- فقال ساخراً :
- نعم .. كصديق لكاي .
- هل لك ان تحدثني بصراحة لماذا تمقتنا ؟. ماذا فعلنا ؟. وماذا عيينا ؟.
- عيبكم الخذلقه . انكم تنعمون بأطبايب الحياة كأنها حقكم الموروث .
- وتتظرون الى أمثالي نظرتكم الى حيوان خارج الحظيرة .
- قد يكون في سلوكنا ما يستوجب النقد ، ولكننا في الواقع لسنا من الرداءة كما تتصور . وسأضرب لك مثلاً من نفسي .. فأنا في هذه اللحظة أشعر بأشد الأسف لأنك تعيش ، وأتمنى ان أقفل أي شيء للترفيه عنك
- جميل أن يكون هذا شعورك
- هل تحب كاي منذ وقت طويل ؟
- منذ وقت طويل جداً .
- وهي ؟. هل تحبك ؟
- كنت اعتقد ذلك الى ان جاء نيفيل .

- وهل ما زلت تحبها ؟ .
- أظن ان ذلك واضح .
فصمتت ماري ابلدن لحظة ثم قالت :
- ألا ترى من الأفضل أن ترحل من هنا ؟ .
- لماذا ؟ .
- لأن وجودك هنا يزيدك ألماً .
فنظر اليها وضحك ، وقال :
- انك مخلوقة طيبة .. ولكنك لا تعرفين شيئاً عن الوحوش التي تجول
حول بيتك . ان احداثاً هامة قد تقع في القريب العاجل .
فسألته بحدة :
- أية احداث تعني ؟ .
- صبراً .. وسوف ترى .

- ٨ -

ارتدت أودري ثيابها ، وقصدت إلى الربوة المطلّة على البحر ، حيث كان
توماس رويد يجلس فوق صخرة بارزة وغليونه في فمه .
وأدار توماس رأسه حين شعر باقترابها ، ولكنه لم يتحرك من مكانه .
وجلس أودري يحواره دون أن تنطق بكلمة ، وساد بينهما صمت عميق
مريح كذلك الذي يسود أحياناً بين شخصين يعرف كل منهما الآخر حق
المعرفة .
وأخيراً قالت أودري وهي ترسل بصرها الى قصر الالدي تريسيليان ،
وكان يقع في مواجهة الربوة مباشرة .

- كم يبدو القصر قريباً ! .
- نعم .. وبوسعنا أن نصل اليه سباحة .
- ليس عندما يكون هناك مد كما هو الحال الآن ، كانت لدى الليدي ترسيبيان وصيفة مولعة بالسباحة ، وقد حاولت مرة ان تعبر هذه المنطقة سباحة ففقدت بها الأمواج الى مصب النهر ولم تنج من الغرق إلا بصعوبة .
- ولكنني لا أرى هنا لافتة تحذر من الخطر .
- ان التيارات الخطيرة ليست في هذا الجانب ، وإنما في الجانب الآخر حيث يوجد القصر .. ان الخطورة هنا هي من ناحية عمق الماء تحت الرهوة .. لقد حاول أحد الشبان في العام الماضي الانتحار بالقاء نفسه من فوق هذه الصخرة التي يجلس عليها الآن ولكنه ارتطم بشجرة لم يقطن اليها . وعلقت ثيابه بأغصانها إلى أن جاء حراس السواحل فأنقذوه .
- مسكين .. أنا واثق من انه لم يشكر منقذه .. ان الإنسان لا يتالك من الشعور بخيبة الأمل حين يوطن العزم على الخلاص من الحياة ثم يجد انه أنقذ على الرغم منه .
- فتنهدت أودري وقالت :
- من يدري .. لعله الآن سعيد لأنه لم يميت .
- فنظر اليها من ركن عينه وهي مستغرقة في التأمل والتفكير .. ولاحظ طول أهدابها وجمال قسبتها وصغر أذنيها وذكره ذلك بشيء فقال :
- بهذه المناسبة ، لقد عثرت على القرط الذي سقط منك ليلة أمس .
- ودس يده في جيبه وأخرج القرط فقالت أودري :
- أين وجدته ؟ في الشرفة ؟
- كلا .. كان على مقربة من درج السلم .
- وتناولت القرط وكان ضغماً بالقياس الى اذنها الصغيرة فقال توماس :
- ألا تخلمين القرط حتى وأنت تستحمين ؟ ألا تخشين ان تفقديه ؟

– ان اقراطي جميعاً من النوع الرخيص .. ولكني لا أحب الظهور بدونها
بسبب هذا .

واشارت الى أثر جرح قديم في اذنها اليسرى .
فقال توماس :

– آه .. هل هنا عضك ذلك الكلب المعجوز ؟
فأطرقت أودري برأسها علامة الایجاب .

كانت وهي طفلة قد اسندت رأسها الى ظهر الكلب وكان الكلب يعاني من
جرح في ساقه ، فضاق بها وعض أذنها .

قال توماس :

– ولكن الأثر الذي تخلف عن العضة لا يكاد يرى .
– انني لا اطيع ان يكون بوجهي ما يميمه .

كان يعرف مدى حرصها على الكمال .. كانت هي كلها مثالا للكمال في
كل شيء .

قال :

– انك أجمل كثيراً من كاي .

– كلا يا توماس .. ان كاي جميلة جداً .

– ظاهرياً .

– هل تعني جمال الروح ؟

– كلا .. بل أعني جمال الهيكل العظيم .

فضحكت أودري ، وتشاغل توماس بأشغال غليونه ، ثم قال يهدوء :

– ماذا بك يا أودري ؟ . يخيل إلي ان هناك ما ييمك .

– كلا .. لا شيء على الإطلاق .

– لا تنظري الى وراء يا أودري انك ما زلت في مستقبل العمر .

والمستقبل فسبح امامك فانظري الى القند لا الى الأمس .

- حدثني يا قوماً .. هل أبدو في بعض الأحيان غير طبيعية ؟
 - هراء .. انك ..
 - ماذا ؟
 - انتي افكر فيك دائماً .. كما كنت قبل الزواج .. لماذا اقتصرت بنيفيل
 يا اودري ؟
 - لأنني أحببته .
 - أعلم ذلك . ولكن لماذا أحببته ؟
 - اظن انني احببته لانه كان ايجابياً . وسعيداً .. وواثقاً من نفسه ..
 وهي صفات كنت افتقدها في نفسي .. ثم لأنه وسم ..
 - نعم .. كان في نظرك الرجل الانجليزي المثالي .. فهو رياضي ، ومتواضع ،
 ووسيم .. ويستطيع الحصول على كل ما يريد ..
 فنظرت اليه اودري بحدة وقالت ببطء :
 - انك تمقته .. أليس كذلك ؟
 فتجنب نظرتها ، وراح يعيد اشغال غليونيه الذي انطفأ . ثم قال :
 - وهل يدعشك ان امقته ؟ . ان له كل الصفات التي افتقر اليها انه يمارس
 الألعاب الرياضية ، ويرقص ببراعة ، ويتحدث بطلاقة . وانا معقود اللسان
 مشوه الجسم .. ثم انه تزوج الفتاة الوحيدة التي احببتها .
 فأطرقت برأسها ولم تجب ..
 قال بحدة :
 - انت تعلمين انني احببتك منذ كنت في الخامسة عشرة من عمرك ..
 وما زلت احبك الى الآن ..
 فأسكتته بقولها :
 - كلا .. ليس الآن ..
 - ماذا تعنين ؟ .

- انني الآن أختلف عما كنت قبلاً .
 - كيف ؟ ..
 فنهضت وهي تقول :
 - لا أعلم .. انني لست واثقة من نفسي ..
 ولم تكمل عباراتها ودارت على عقبيها ، وانطلقت مسرعة في الطريق الى
 الفندق ..
 وفيما هي تثب فوق الصخور ، إذا بها ترى نيفيل منبطحاً على الأرض ،
 أمام بركة ماء بين الصخور .
 فنظر اليها وابتسم وقال :
 - أهذه أنت يا أودري ؟ . انني أراقب السمكات الصغيرة وهي تعبث
 في الماء .
 فجئت يحانبه وراحت تنظر الى الماء .
 سألهما :
 - هل ترينها ؟ ..
 - نعم .
 - هل لك في لفافة تبغ ؟ .
 فتناولت لفافة اشعلها لها .. وراحت تدخن دون أن تنظر اليه .
 قال اودري :
 - نعم .
 - كل شيء بيننا على ما يرام ؟ .
 - طبعاً ..
 - انني حريص على أن تقوم بيننا صداقة وطيدة .
 ونظر اليها بقلق فقالت :
 - طبعاً .. طبعاً ..

- أودري ...
ولكنها نهضت وقالت :
- ان زوجتك تلوح لك بيدها .
- من ؟ كاي ؟
- قلت زوجتك .
فنهض بدوره ووقف يتفرس في وجهها ثم قال بصوت خافت :
- أنت زوجتي يا أودري .
فأشاحت بوجهها ومضت في سبيلها ، بينما انطلق نيفيل للحاق بزوجه .

- ٩ -

عندما وصلوا الى القصر اقترب هرساتل كبير الخدم من ماري لإبلاغ
وقال لها :
- ان الليدي تريد مقابلتك فوراً يا آنسة .. انها مزعجة .. وتريد
التحدث اليك .
فهرولت ماري الى مخدع الليدي تريسيليان ، ووجدت السيدة المعجوز
شاحبة الوجه مضطربة الأعصاب .
هتفت الليدي حالماً أبصرت بها :
- كم يسرني أنك عدت أيتها العزيزة .. انني في أشد حالات الحزن والأسى
فقد مات مسافر تزيهز المسكين .
- مات ؟
- نعم .. مات فجأة .. عقب عودته الى غرفته ليلة أمس ، ويبدو انه لم
يتمكن حتى من خلع ثيابه .
- هذا أمر يدعو الى الأسف حقاً ..

— كنت أعلم طبيعاً انه ضعيف الجسم ومريض القلب ، فأرجو ألا يكون قد حدث هنا ما أجهدته ، أو ان يكون قد تناول طعاماً لا يلائمه .

— كلا .. أنا واثقة من انه لم يحدث شيء من ذلك . وقد لاحظت انه كان مرحاً وفي حالة نفسية طيبة .

— انني حزينة جداً ، وأرجوكم أن تذهبى الى فندق بالمورال للوقوف على مزيد من التفاصيل ، والاستفسار من مسز روجرز صاحبة الفندق عما إذا كان يوسعنا عمل شيء ..
اسألها عن موعد تشييع الجنازة .

— سأذهب فوراً لآتيك بالخبر اليقين ولكنني أرجوكم ألا تحزني .. أنا اعلم انها صدمة قاسية لك ، ولكن حاولي أن تتقبلها بمزيد من الرضوخ والهدوء .

* * *

وعندما هبطت ماري إيلدن الى قاعة الاستقبال قالت للضيوف :
لقد مات مستر تريفز ليلة أمس عقب عودته الى الفندق .

فهمت نيفيل :

— مسكين !! .

— ماذا أصابه ؟ ..

— يبدو أنه اصيب بأزمة قلبية .

ففكر توماس قليلاً ثم قال :

— ترى هل السبب أنه صعد السلم !! .

فهمت ماري :

— صعد السلم ؟ ..

— نعم ، لقد تركته أنا ولا تيمر وهو يحم بصعود السلم .

- هذه حقاثة منه .. لماذا لم يستخدم المصعد ؟

- كان المصعد معطلا .

- آه ... هذا من سوء حظه .

ثم استطردت قائلة :

- سأطلق الآن الى فندق بالمورال ، فالليدي تريد أن تعرف ما إذا كان

منا أن نفعل شيئا .

فقال توماس :

- سأذهب معك .

وسارا في الطريق إلى الفندق وقالت ماري :

- ترى هل له أقارب يمكن أخطارهم ؟

- لا أعلم .. هل كان متزوجا ؟

- لا أظن ذلك .

وعندما دخلوا الفندق .. كانت مسز روجرز تتحدث الى رجل طويل

يناهز الأربعين ، وما أن رأى الرجل ماري حتى رفع يده محييا وقال :

- طاب مساؤك يا مس إيلدن .

فأجابت :

- طاب مساؤك يا دكتور لازنبي . دعني أقدم لك مسز رويد .. لقد

ا من لدن الليدي تريسيليان للاستفسار عما إذا كانت بوسعنا عمل شيء .

فقالت مسز روجرز :

هذا كرم منك .. تعاليا الى غرفتي .

وانتقلوا جميعا الى قاعة استقبال صغيرة أنيقة . وهناك قال الطبيب :

- هل تناول مسز تريفز طعام العشاء عندكم ليلة أمس ؟

- نعم .

- كيف كان يبدو ؟ هل كان منفصلا .. او حزينا ؟

– كلا .. كان بإيدي المرح والسرور طول الوقت .
– نعم .. هذا أسوأ ما في حالات مرضى القلب .. يأتي الموت غالباً
فجأة .. لقد قرأت قوائم الأدوية التي وصفها له أطباؤه ، وهي تدل على أن
حالته كانت خطيرة .

فقال مسز روجرز :
– انه كان شديد العناية بنفسه ، وأعتقد أننا وفرنا له كل وسائل الراحة .
فقال الطبيب بلباقة :

– أنا واثق من ذلك يا مستر روجرز ... ولا بد انه أجهد نفسه
بطريقة ما .

فقال ماري :
– كان يكون قد صعد درج السلم ؟ ..
– نعم .. ولكنه ما كان ليفعل ذلك وهو يعرف مدى خطورة حالته .

فقال مسز روجرز :
– انه كان يستخدم المصعد ويصر على ذلك بشدة .
– ولكن المصعد كان معطلا ليلة أمس ولذلك ..

فقاطعتها مسز روجرز قائلة في دهشة :
– ان المصعد كان يعمل طوال ليلة أمس يا مس إيلدن .
وهنا سعل توماس رويد وقال :

– معذرة يا مسز روجرز .. انني رافقت مستر تريفيز إلى هنا ، وكانت طو
المصعد لوحة تقييد أنه معطل .

فهمت مسز روجرز :
– هذا غريب . ان المصعد كان سليماً .. ولم تكن هناك لوحة كالتي
تذكرها .. هذا المصعد لم يصب يعطل منذ نحو ثمانية عشر شهراً .

فقال الطبيب :

— ألا يحتمل أن يكون أحد الخدم قد وضع هذه اللوحة بعد الانتهاء فترة عمله ؟ ..

فصاحت مسز روجرز :

— انه مصعد آلي يا دكتور .. ولا يحتاج الى شخص لتشغيله .. وعلى كل حال سأستفسر من حارس الباب .
وغادرت الغرفة مسرعة وهي تنادي :

— جو . جو .

ونظر الطبيب الى توماس رويد في دهشة وقال :

— هل انت واثق بما قلت يا مستر رويد ؟

— تمام الثقة .

وعادت مسز روجرز ومعهما حارس الباب الذي أكد أن المصعد لم يكن به أي عطل في الليلة السابقة .
وهنا قال الطبيب أن أحد النزلاء ربما وضع تلك اللوحة على سبيل الدعاية .

وانتهى الأمر عند هذا الحد .

وقال الطبيب رداً على أسئلة ماري إيلدن أنه عرف من سائق سيارة مستر تريفز عنوان محامي هذا الأخير . وأنه ستصل به ثم يذهب للقاء الليدي تريستيان لينبشها بما يمكن عمله بشأن تشييع الجنازة .

وانصرف الطبيب وعادت ماري إيلدن وتوماس رويد الى القصر ..
وفي الطريق قالت ماري :

— هل أنت واثق من انك رأيت تلك اللوحة يا توماس ؟

— أنا ولوتيير رأيناها .

— هذا عجيب !!

كان اليوم هو الثاني عشر من شهر نوفمبر .
قالت ماري ايلدن بصوت كمن يتحدث الى نفسه .

- لم يبق سوى يومان ..

وعضت شفتها على الأثر واحمر وجهها ، والتفتت نحو توماس رويد وقالت
معتذرة :

- لا أدري في الحق ماذا دهاني .. اني طوال حياتي لم أتمجل انتهاء
زيارة كما أتمجل انتهاء هذه الزيارة . كنا دائما نرحب بنيفيل وأودري ،
ونستمتع بوجودهما معنا ، ولكننا في هذه المرة نشعر كأننا نجلس فوق شحنة
من الديناميت يمكن أن تنفجر في أي لحظة . ولهذا السبب قلت لنفسي عندما
استيقظت هذا الصباح: لم يبق سوى يومان .. فان أودري سترحل يوم الأربعاء
وسيرحل نيفيل وكاي يوم الخميس .

فقال توماس :

- وانا سأرحل يوم الجمعة .

- انك لست في الحساب .. فقد كنت بمثابة الحصن المنيع ، ولا أدري
ماذا كان في استطاعتي ان أفعل بدونك ..

وصمت لحظة ثم استطردت قائلة :

- انني لا افهم لم كل هذا التوتر ؟ ان أقصى ما يمكن ان يحدث هو ان
يدور حوار عنيف .. او ان يشور احد الأطراف .. وهذه امور مألوفة في كل
مجتمع . ولكن المخاوف تتجسم دائما .. وقد انتقلت العدوى الى الخدم انفسهم ،
فانفجرت إحدى خادومات المطبخ باكية صباح اليوم ، وأنذرتنا بترك العمل

لغير ما سبب . والطاهية متوترة الأعصاب وكذلك هرستال رئيس الخدم حتى
جين باريت نفسها ، تلك التي نصفها دائماً بأنها أكثر ثباتاً من بارجة .. حتى
هذه المرأة القوية قد ظهرت عليها دلائل التوتر العصبي .. وكل ذلك بسبب
فكرة مخيفة خطرت لنيفيل ، وجعلته يحاول توثيق أواصر الصداقة بين
زوجتيه لكي يريح ضميره .

- وهي فكرة فشلت تماماً ..

- طبعاً . ان كاي فائرة وأنا لا أتمالك من الاحساس بالعطف عليها ..
هل لاحظت كيف كان نيفيل يتودد إلى أودري ليلة أمس ؟ انه لا يزال يحبها ،
وقد كانت تصرفاته كلها خطأ محزنًا .

- كان ينبغي عليه أن يفكر جيداً قبل ان يقدم على الطلاق . ثم على
الزواج .

ذلك ما نقوله نحن جميعاً .. ولكن ذلك لا يغير من الواقع شيئاً ..
انني أرثي له حقاً ..

- ان أمثال نيفيل ..

- نعم ؟

- ان اولئك الذين على شاكلة نيفيل يتوهمون ان في مقدورهم الظفر بكل
ما يريدون . واني أعتقد ان قصته مع أودري كانت اول صدمة صادفها في
حياته ، ما هو الآن يحصد ما زرع ، لقد فقد أودري إلى الأبد ولن يستطيع
الوصول اليها مرة اخرى منها حدث .

- أظنك على صواب .. ومع ذلك فقد كانت أودري تحبه عندما اقترنت
به وكانا سعيدين معاً ..

.. ولكنها الآن لا تحبه ..

فتنهت ماري ايلدن وقالت

- من يعلم .

- وثمة شيء آخر .. يحسن نيفيل أن يكون على حذر من كاي . انها امرأة خطيرة .. ومتى غضبت فانها لن تقف عند حد .
- على كل حال لم يبق إلا يومان .
وفي هذه اللحظة أقبل نيفيل قادماً من البيت .. قال :
- انني لا أصدق اننا في شهر سبتمبر .. فالحر يشتد يوماً بعد يوم .. حتى لكأننا في المنطقة الاستوائية .
ونض قوماً ، وابتمد دون أن ينطق بكلمة . فقال نيفيل وهو يشيمه ببصره :
- يخيل إلي انه لا يطبق البقاء معي في مكان واحد .
فالت ماري :
- ولكنه شاب ظريف .
- انني اخالفك في هذا الرأي . فهو انسان ضيق الأفق شديد التشاؤم .
- أظن انه كان دائماً يرجو أن يقترن بأودري ، الى ان بجثت أنت وظفرت بها .
- كان لا بد له من سبع سنوات على الأقل لكي يحزم رأيه ويطلب يدها ا .
وأية فتاة تستطيع الانتظار كل هذه السنين ؟ .
- لعل آماله تتحقق الآن .
- هل تعتقدين ان أودري ترضى بالاقتران برجل عبوس كهذا ؟ .
- انني أعتقد انها تميل اليه .
- انكن يا معشر النساء أسوأ سماسة الزواج ا . لماذا لا تدعنها تنعم بحريتها بعض الوقت ؟ . ألا تظنين انها سعيدة بهذه الحرية ؟ .
قالت ببطء :
- الحق انني لا أعلم .
- أفا كذلك لا أعلم .. وليس هناك من يستطيع أن يسبر غور مشاعرها .

وتربث لحظة ثم استطرد قائلاً :
- ولكنها مخلوقة نبيلة .. وقد كنت مغفلاً حين تركتها .
ومضت ماري الى البيت وهي تقول لنفسها للمرة الثالثة :
- لم يبق سوى يومان .
أما نيفيل فإنه راح يطوف بالحديقة ، حتى رأى أودري جالسة فوق جدار
منخفض يطل على البحر .
وأبصرت به أودري فوثبت من مكانها وأقبلت نحوه وهي تقول :
- كنت أم بالعودة الى البيت فقد حان وقت تناول الشاي .
قالت ذلك بسرعة ، دون ان تنظر اليه ، فسار يجوارها وهو صامت ، الى
أن اقتربا من الشرفة التي تطل على الحديقة وحينئذ قال :
- هل أستطيع أن أتقدم اليك يا أودري ؟
فأجابته وهي تطبق بأصابعها على حاجز الشرفة :
- لعل من الأفضل ألا تفعل .
- معنى هذا انك تعرفين ما أريد ان أقوله .
فلم تجب . وقال :
- ما رأيك يا أودري ؟. الا نستطيع أن نصنع ما انقطع وأن ننسى
ما حدث ؟..
- بما في ذلك كاي ؟
- ان كاي سوف تفهم .
- ماذا تعني ؟
- سأصارعها بالحقيقة . وأترك الأمر لكرمها ، سأقول لها انك المرأة
الوحيدة التي أحببتها .
- ولكنك كنت تحب كاي حين تزوجتها .
- وان زواجي منها كان اكبر خطأ ارتكبته ، انني ..

وكف عن الكلام حين رأى كاي تخرج من باب قاعة الاستقبال ، وتقبل نحوها .. وشرر الغضب يتطاير من عينيها .
قالت :

— يؤسفني أن أفرض نفسي على هذا المشهد المؤثر .. ولكنني أظن انه قد آن لي أن افعل ذلك .

فقالت أودري وهي تبتعد :

— سأخيلي لكما الجلو .

فصاحت كاي :

— هل نفثت سمومك وحققته أهدافك ؟ سيكون لي شأن معك فيما بعد ،
أما الآن فسأسوي الحساب مع نيفيل .

فقال نيفيل :

— اصغي الي يا كاي .. ان اودري لا شأن لها بهذا .. أنا وحدي الموم .
- أي رجل أنت بحق السماء ؟ تترك زوجتك ونفقرن بي ... وتطارحني
الحب في لحظة وتسامني في اللحظة التالية .. والآن تريد العودة الى هذه القطة
الباهتة التافهة الخادعة .

— اصمقي يا كاي .

— تكلم .. ماذا تريد بالتحديد ؟

فأجاب وقد فرلونه :

— اطلقي على أقبح الأسماء والصفات إذا شئت .. ولكن ذلك لن
يحديك فتيلاً .. انني لا استطيع الاستمرار معك .. وقد وضحت لي الآن
انني كنت أحب أودري طوال الوقت ، وان حبي لك كان ضرباً من
الجنون .

انني لا أصلح لك ابنتها العزيزة ولن استطيع اسعادك . ومن الخير لنا أن
نضع حداً لخسائرتنا وان نفترق أصدقاء .

فسألتني في هدوء مصطنع
- ماذا تقترح إذن ؟
فأجاب دون أن ينظر اليها ،
- اقترح الطلاق . بدعوى انني هجرتك .
ان الطلاق يتطلب وقتاً .
- سأنتظر .
- وحينما يتم الطلاق بعد عامين أو ثلاثة أعوام .. هل ستطلب الى اودري
العزيزة اللطيفة ان تقترن بك مرة أخرى ؟
- ذلك إذا وافقت .
فصاحت كاي في حقد :
- انها ستوافق فاطمئن .. ولكن ماذا سيكون من أمري ؟
- ستصبحين حرة وسيكون بوسعك أن تجدي رجلاً أفضل مني . وطبيعي
انني سأرتب لك نفقة كبيرة تفي بكل حاجاتك .
- لا تحاول . أن ترشوني . أصغ إلي يا نيفيل . انني لن أطلقك .. لقد
تزوجتك لأنني أحببتك .. وأنا أعرف متى بدأ نفورك مني .. لقد بدأ حين
صارحتك بأنني تلبستك الى مدينة (ستوربل) .. كنت تعتقد ان القدر هو
الذي جمع بيننا ، فخذش كبرياءك وخيلادك ان تعلم انني التي دبرت اجتماعنا ،
ولكنني لا أشعر بالخجل مما فعلت . انك أحببتني واقترنت بي ولن ادعك
تعود الى تلك القطة الماكرة التي نشبت مغالبها فيك مرة اخرى ... انني
أفضل أن اقتلك على أن اتركك تعود اليها .. هل سمعت سأقتلك ثم
اقتلها ..
فأمسك بساعدها بعنف وقال :
اصمتي ... اصمتي بحق للسوء .. لا ينبغي أن تحدثني مثل هذه

الفضيحة هنا ؟

ولم لا .. سوف ترى .. سوف .

ولم تتم عبارتها ، فقد أقبل عليها ميرستال في تلك اللحظة . وقال يهدوئه
المألوف :

- قد أعد الشاي بقاعة الاستقبال .

وافصح لها الطريق ، فانتقلا الى قاعة الاستقبال . وأخذت السحب تتلبس
في السماء .

-- ١١ --

بدأت الأمطار تنهمر قبل الساعة السابعة بقليل ، ووقف نيفيل بناقذة
غرفته ، وأرسل بصره نحو البقر ..

لم يكن قد دار بينه وبين كاي حديث عقب تناول الشاي ، وحرص كل
منهما على تجنب الآخر ..

وفي المساء ، تناول الجميع طعام العشاء في جو بالغ الكتابة .. فنييفيل
شارد الذهن طول الوقت ، وكاي متجهمه الوجه رغم أسرافها في طلائه ..
وأودرى جامدة في مكانها كتمثال من الرخام . ومارى إبلدن تبذل قصارى
جهدا لاجتذاب الضيوف الى الحديث .. وتنظر الى توماس رويد في ضيق
لأنه لا يعاونها في مهمتها .. حتى هرستال نفسه كان مضطرب الأعصاب ويدهاء
وتجفان وهو يضع الصحاف على المائدة .

وبعد العشاء قال نيفيل :

- انني افكر في الذهاب الى إيسترهيد لكي لعب البليارد مع إدوار
لاتيمر .

فقال ماري

- في هذه الحالة يحسن بك أن تأخذ مفتاح الباب الخارجي حتى يتسنى
لك الدخول إذا عدت في وقت متأخر .

* * *

وانتقلوا الى قاعة الاستقبال حيث تناولوا القهوة وأداروا جهاز الراديو
لسماع نشرة الأخبار .

وكانت كاي لا تقف عن التثاؤب منذ غادرت قاعة الطعام . ولم تلبث ان
استأذنت في الانصراف لتأوى الى فراشها .

وأصغى نيفيل الى نشرة الأخبار وبعض القطع الموسيقية ثم نهض ليذهب الى
إيسترهيد فسألته ماري

- هل ستذهب بالسيارة أم ستعبر النهر بالقارب ؟

فأجابها :

- بل سأعبر النهر بالقارب ، إذ لا معنى لقطع خمسة عشر ميلا بالسيارة .

- ولكن المطر لا يزال ينهمر .

- لا بأس ، سأرتدي معطفي .. طاب مساؤكم ..

ولكنه ما كاد يخرج الى البهو حتى لحق به هرستال وقال له :

-- ان الليدي ترغب في التحدث اليك

فنظر نيفيل الى ساعته .. وكانت الساعة قد بلغت العاشرة ، فhez كتفيه ،

وقصد الى غرفة الليدي تريسييليان ودق بابها ، وانتظر قليلا حتى سمع صوتها

وهي تصبح

- ادخل .

وكانت الليدي قد تاهبت للنوم وأطفأت أوار غدعها . فلم يبق مضيقاً سوى المصباح الصغير الذى تستعين به في القراءة .

ودخل نيفيل وأغلق الباب وراءه ونحت الليدي الكتاب الذى كانت تقرأه جانباً . ورمقت نيفيل من فوق عويناتها بنظرة صارمة ، وقالت :

- أريد أن أتحدث اليك يا نيفيل .

فأجاب وهو يبتسم .

- هأنذا مصغ اليك يا سيدتي الناظرة .

ولكن الليدي لم تبتسم وقالت :

- ثمة أشياء لا أسمع بها في بيتي يا نيفيل ، انني لا استرق السمع على أحد ، ولكن عندما تصر أنت وزوجتك على الصياح تحت نافذتي فأنني لا أتمالك من سماع ما تقولان .. وقد فهمت مما سمعته انك تفكر في طلاق كاي لكي تقترن مرة أخرى بأودري . وهذا امر لا ينبغي أن تفعله .. ولا أريد أن اسمع عنه .

فبدأ نيفيل وكأنه يحاول السيطرة على غضبه وقال بإيجاز :

- انني اعتذر عن صياحنا تحت نافذتك . اما فيما يتصل بما ذكرته غير ذلك فأنني اعدّه من شؤوني الخاصة .

- كلا .. انه ليس من شؤونك الخاصة .. انك استخدمت بيتي للاتصال

بأودري ، أو ان اودري هي التي ..

فقاطعها نيفل قائلاً :

- أن اودري لم تفعل شيئاً في هذا الصدد .

مهما يكن من امر يا نيفيل ، فان كاي هي زوجتك ولها عليك حقوق

ليس بوسعك أن تحرمها منها أو أن تشكرها عليها . وأنا انكأك من مصارحتك بأنها مسؤوليتك ويجب أن يكون واضحاً .

فخطاً نيفيل نحوها خطوة وصاح بصوت ، رتفع :
- لا شأن لك بهذا .

ولكنها لم تحفل باحتجائه ومضت تقول
- وأكثر من ذلك أن أودرى ستفادر هذا البيت غداً .

- هذا ما لا يجب أن يحدث ، انني لا اسمح بذلك .

- لا تصرخ في وجهي يا نيفيل .

- قلت لك انني لا اسمح بذلك .

وفي مكان ما من الدهليز ، سمع صوت باب يفتح .

وذهبت الوصيعة اليس بنتهام الى الظاهية مسز سبايسر وقالت لها وهي زائفة البصر بادية الاضطراب

- ماذا افعل بحق السماء يا مسز سبايسر ؟

- ماذا حدث ؟

- لقد حملت الشاي الى مس باريت في غرفتها منذ ساعة ولكنها كانت نائمة فلم أشأ أن ازعجها ، ومنذ خمس دقائق ذهبت اليها مرة اخرى لأنها لم تحضر كالعادة لتحمل الشاي الى الليدي ، ولكنها كانت لا تزال مستغرقة في نوم عميق . وعبتاً حاولت أن اوقظها ، كان لون وجهها خفيفاً .

- يا الهي ا . هل ماتت ؟

- كلا ، انها تتنفس ، ولكن انفاسها خافتة متقطعة .

- حسناً ، سأذهب اليها بنفسي ، وعليك أن تحملي الشاي الى الليدي .

وحملت اليس بنتهام صفقة الشاي وانطلقت بها الى غرفة الليدي وطرقت الباب مرتين . ولما لم تسمع جواباً فتحت الباب ودخلت وبعد لحظة ، سمع

صوت سقوط اقداح وأطباق وتهشمها ،واندفعت اليس بنتهام من مخدع الليدي
تريسيليان وراحت تهبط السلم وثبا وهي تصرخ في فزع .. كما لو كانت قد
رأت شعباً ..

ووجدت هرستال ينظف البهو فصاحت به :

— مستر هارستال ، لقد دخل اللصوص وقتلوا الليدي ان في رأسها ثقباً
كبيراً .. والدم في كل مكان

الفصل الرابع

التحقيق

- ١ -

استمتع المفتش باتل باجازته كل الاستمتاع ، ولكنه اصيب بخيبة أمل في الأيام الثلاثة الأخيرة حين اضطراب الجو وهطلت الأمطار .
وكان باتل يتناول طعام الإفطار مع ابن اخيه المفتش ليتش حين دق جرس التليفون .

وتناول ليتش الساعة ، وأصغى طويلاً ثم قال :

- سأحضر فوراً يا سيدي .

ووضع الساعة ، فقال باتل وقد لاحظ تجهم وجه ابن اخيه :

- هل ثمة شيء خطير ؟

فأجاب ليتش :

- جريمة قتل .. ذهبت ضحيتها الليدي ترسيليان وهي سيدة عجوز معروفة جيداً في هذه الناحية . وتملك ذلك القصر القائم فوق الربوة في سولتكريك .

فأطرق باطل برأسه واستطرد ليتش قائلا :
- سأذهب الآن لمقابلة مدير بوليس المنطقة .. انه صديق الليدي ..
وستنطلق معا الى القصر .
وعندما وصل الى الباب ، نظر الى باطل وقال بلهجة المتوسل :
- هل أستطيع الاعتماد على معونتك في تحقيق هذه القضية يا عماء ، انها
أول قضية من نوعها بالنسبة الى ..
- سأعاونك طالما كنت هنا .. هل هي قضية سطو وقتل ؟
- لا أعلم بعد ..

- ٢ -

بعد نحو نصف ساعة ، كان الملاجور روبرت ميتشل يتحدث الى ليتش وعمه
بلهجة جدية .. قال :
- من الواضح ان الجريمة ارتكبها شخص أو اشخاص من اهل القصر ..
إذ لا يوجد أي أثر يدل على سطو من الخارج .. وكانت جميع النوافذ
والأبواب مغلقة في الصباح .
ثم التفت الى باطل وقال :
- إذا اتصلت باسكوتلانديارد ، فهل تظن انهم يوافقون على اعارتك
لتحقيق هذه القضية ؟ . انك موجود في المنطقة فعلا ، ثم هناك صلتك العائلية
بالمفتش ليتش .. فاذا وافقت فسيكون معنى ذلك إنهاء اجازتك .
فقال باطل :
- لا مانع لدي يا سيدي .. بحسبك ان تتصل بالسير إدجار كوتوني ...
مدير اسكتلنديارد ، انه صديقك أليس كذلك ؟ .

- نعم .. وأعتقد انني استطيع اقناعه .. سأتصل به .
- هل تظن انها ستكون قضية هامة يا سيدي ؟
- مهما يكن أمرها ، فاني لا أريد ان يحدث أي خطأ في سير التحقيق أو
في توجيه الاتهام .

- ٣ -

وقف باتل وليتش بباب المدخ الفخيم .
وبداخل المدخ ، كان أحد ضباط الشرطة يتحصص البصمات على مقبض
مضرب للجولف ماثو بالدماء وقد علقت به بعض شمرات بيضاء .
بينما المنحى الدكتور لازني ، طبيب شرطة المنطقة ، فوق جثمان الليدي
تريسيان .
وأخيراً اعتدل الطبيب وقال

- انها ضربت من الأمام بقوة ، فهشمت الضربة الأولى الرأس وأحدثت
لوفاة .. ولكن القاتل استمر يضرب للتأكد من القضاء عليها .

فسأله ليتش

- ومتى حدثت الوفاة ؟

- بين الساعة العاشرة ومنتصف الليل .

- الا تستطيع تقريب المدة الزمنية ؟

فأجاب الطبيب

- إذا وضعت جميع العوامل في الاعتبار ، فاني لا أستطيع أن أقول
سوى ان الجريمة وقعت في وقت لا يقل عن الساعة العاشرة ولا يتجاوز منتصف
الليل .

- وهل أداة الجريمة هي هذا المضرب ؟ .
- ذلك واضح ، ومن حسن الحظ ان القاتل تركه ، وإلا ما امكن الاستدلال على نوع الإداة التي استخدمت ، ولا بد أن يكون القاتل قد وقف الى يمين الفراش إذ لا يوجد مكان كاف الى اليسار .

- هل تعتقد ان القاتل كان أعسر أ ؟
- لا أستطيع ان اقطع في ذلك برأي . . ان التفسير الواضح هو أن القاتل أعسر ، ولكن يحتمل أن تكون السيدة قد أدارت رأسها قليلاً الى اليسار حين هم القاتل بضربها .
فقال باتل في هدوء :

- ولكن هل تستطيع ان تقسم على ان هذا المضرب هو أداة الجريمة ؟ .
- كلا . . أستطيع فقط ان أقسم انه ربما كانت أداة الجريمة . على انني سأقوم بتحليل الدم العالق به للتحقق من انه من فصيلة دم المجنى عليها . كذلك سأقوم بفحص الشعرات البيضاء .
فقال باتل موافقاً :

- نعم . . يحسن التحقق من هذه الأمور .
- هل ترتاب في 'ان هذا المضرب هو أداة الجريمة أيها المفتش ؟ .

فأجاب باتل :
- كلا . انني رجل بسيط او من بما أرى . . لقد ضربت المجنى عليها بأداة ثقيلة . . والمضرب ثقيل . . ثم انه ملوث بالدم ، وعليه شعرات بيضاء . دم المجنى عليها وشعرها بغير شك . . انه اذن أداة الجريمة .

فسأل ليتش :
- هل كانت المجنى عليها نائمة حين ضربت ؟
فأجاب الطبيب :

أعتقد انها كانت مستيقظة ، فدلائل الدهشة تبدو على وجهها .. ورأيتي الشخصي انها لم تكن تتوقع ما حدث . فلم تقاوم . ولم تشعر بخوف او هلع وأكبر الظن انها كانت قد استيقظت لتوها . فلم تدرك ما يحدث . او انها عرفت في الغاتل شخصاً لا يمكن ان يقدم على ايذاها .

- ولم يكن مضاء سوى المصباح الصغير يجوار الفراش ؟ .
- نعم . ولذلك دلائل ان اما ان تكون السيدة قد شعرت فجأة بدخول أحد فأضاءت المصباح او أنه كان مضاء قبل وقوع الجريمة .
وفي هذه اللحظة ، نهض الضابط جوتز ، اخصائي البصبات وقال وهو يبتسم .

. ان البصبات واضحة على مقبض المضرب كل الوضوح .

فتنهذ ليتش بارتياح وقال :

- ذلك ييسر مهمتنا كثيراً .

فقال الطبيب :

- لا شك أنه قاتل ظريف . ترك أداة الجريمة .. وترك بصمات اصابعه .
ومن المعجب أنه لم يترك كذلك بطاقته .

فقال باتل :

- لا بد أنه فقد صوابه بعد الجريمة .

- ذلك محتمل . سأذهب الآن لفحص المريضة الأخرى .

- أية مريضة ؟ .

- لقد اتصل بي كبير الخدم قبل اكتشاف الجريمة ، وقال لي ان وصيفة الليدي في حالة غيبوبة تامة .

- ماذا أصابها ؟ .

- تناولت مخدراً قوياً .. وكانت في حالة سيئة ولكني أعتقد انها ستجعو .
فنمقم باتل قائلاً :

- وصيفة الليدي ا .
واستقرت عيناه على شريط الجرس الذي يتدلى فوق وسادة الليدي
تريسيان . فقال الطبيب :
- نعم . لو قد أحست الليدي بخطر لبادرت الى جذب هذا الشريط .
ولكن دون جدوى .. فقد كانت الوصيفة في حالة لا تسمح لها بسماع رنين
الجرس .
- هل تعني ان الوصيفة خدرت عمداً ؟ ألم تتعود تعاطي العقاقير المخدرة
فقال باتل :
- كلا .. لم أجد في غرفتها أرواً لمقاقير مخدرة .. ولكنني وجدت أرو
المخدر في قديم شاي تناولته في المساء . لقد تعودت ان تتناول الشاي قبل ان
تأوي الى فراشها .
- لا بد ان يكون القاتل ممن يعرفون طباع أهل البيت جيداً ..
وتم التقاط صور غرفة النوم ، والجلشة وتسجيل الأبعاد والمساحات وخلا
الجو للمفتش باتل وابن اخيه فقال الأول :
- الآن يجب أن نحصل على بصمات اصابع أهل البيت جميعاً .. ولكن في
رفق وأدب .. ودون إكراه .. وستكون النتيجة أحد امرين .. اما أن
بصماتهم لا تتفق مع البصمات التي وجدت على المصرب .. او ان بصمات أحدهم
تتفق معها .. وفي هذه الحالة .
- وفي هذه الحالة نكون قد وضمنا أيدينا على القاتل ..
- أو على القاتلة .
فهز ليتش رأسه وقال :
- كلا .. انها بصمات رجل .. انها اكبر كثيراً من بصمات النساء .. ثم
ان هذه جريمة لا يرتكبها إلا رجل .
- نعم انها جريمة وحشية لا يرتكبها إلا رجل قوي .. وعلى شيء من

الغباء .. هل تعرف من أهل البيت احداً تنطبق عليه هاتان الصفتان ؟ .

— انني لا أعرف أحداً هنا .. وهم جميعاً الآن في قاعة الطعام .

— هلم بنا اليهم ..

والقى باتل على الجثة نظرة أخيرة وقال وهو يمضي الى الباب :

— كانت غنية .. أليس كذلك ؟ . من الذي يرثها ؟ .

فصاح ليتش :

— هذا أول ما يجب الاستدلال عليه .. فلمه ان يقودنا إلى معرفة القاتل .

فنظر باتل إلى قائمة في يده وراح يقرأ الأسماء :

— مس ماري ايلدن ، مسر رويد ، مسر سترينج ، مسر سترينج ، مسر

أودري سترينج . كثيرون يحملون اسم سترينج ..

-- انهم ، على ما فهمت ، مسر نيفيل سترينج وزوجته .

كانت الأسرة مجتمعة حول مائدة الطعام ، فنظر المفتش باتل الى وجوه

أفرادها لتقييمهم بطريقته الخاصة ، ولو قد عرفوا رأيهم فيهم بعد هذه النظرة

لتولتهم الدهشة ..

كان رأياً متحيزاً ، بصرف النظر عن المبدأ القانوني الذي يعتبر الناس أبرياء

الى أن تثبت ادانتهم ..

كان باتل ينظر الى كل شخص في محيط الجريمة باعتبارها قاتلاً . وقد انتقلت

عيناه من ماري ايلدن الشاحبة الوجه التي تتصدر المائدة وكأنها تمثال من الحجر ،

الى توماس رويد الذي يحشو غليونه ، فالى أودري التي تراجعت بمقعدها إلى

الوراء وباحدى يديها قدح قهوة ويدها الأخرى لفافة تبغ فنيغيل الذي جلس

مذهولاً وراح يحاول اشمال سيجارته بأصابع مرتجفة ، فزوجته كاي التي

استندت مرفقيها الى المائدة . وبدأ شعوب وجهها وراء المساحيق والدهون ..

وقال المفتش باتل لنفسه :

— اذا كانت هذه هي ماري ايلدن فانها امرأة قوية الارادة لا يمكن ان

تؤخذ على غرة . أما ذلك الرجل المتجهم الذي يجلس يحوارها فانه يعاني من
مركب نقص ربما بسبب اصابة ساقه بعاهة .. وأما المرأة فلا بد انها احدى
الزوجتين . انها توشك ان تسقط هلمأ .. وهذا الرجل ، انه مستر سترينج ..
لقد رأيته في مكان ما قبل الآن .. انه متوتر الأعصاب فعلاً ويكاد أن ينهار ..
أما ذات الشعر الأحمر .. فانها امرأة سريعة الانفعال والغضب .. ولكنها
ذكية . .

وفي هذه الاثناء ، كانت ماري ابلدن تقدم الضيوف الى المفتش ليتش ،
وقالت في النهاية .

— ان ما حدث كان صدمة شديدة لنا جميعاً ، ومن تحصيل الحاصل ان
أقول اننا على استعداد لتقديم كل معونة ممكنة .

فقال ليتش وهو يعرض مضرب الجولف :

— دعوني اسألكم أولاً .. هل يعرف أحدكم شيئاً عن هذا المضرب ؟

فصاحت كاي في هلع :

— هذا بخيف !! هل هذا هو .

وأسكتت عن اتمام عبارتها ، بينما نهض نيفيل وقال وهو يدور حول

المائدة :

— انه يبدو وكأنه احد مضاربي .. هل تسمح لي بأن اراه ؟

فأجاب المفتش :

— لا مانع الآن من ان تتناوله وتفحصه .

ولم تترك كلمة (الآن) اي اثر في نفوس الحاضرين .

وتناول نيفيل المضرب وفحصه وقال :

— يخيل الي انه احد مضاربي .. ولكنني استطيع ان اتحقق من ذلك

بعد لحظة ..

ثم نظر الى ليتش وبأتل وقال :

- تعال يا معي .

وتقدمهما الى دولا ب كبير تحت درج السلم ، وفتحته ودهش باتل حين وجد
الدولا ب حافلا بمضارب التنس .. وتذكر في ذات اللحظة ان رأى نيفيل
من قبل .

قال :

- لقد رأيتك تلعب التنس في (ويمبلدون) يا سيدي .
- آه .. أحقا ؟ .

وراح يخرج مضارب التنس ، الى ان تكشفت له حقيبتان في قاع الدولا ب
مليئتان بمضارب الجولف .

قال :

- لا يوجد هنا من يلعب الجولف سواي انا وزوجتي .. والمضرب الذي
بيدك هو من النوع الذي يستخدمه الرجال . نعم . انه مضربي .
- شكراً لك يا مستر سترينج .. هذا يكفي .

فقال نيفيل :

- ما يدهشني .. هو ان شيئاً لم يفقد من البيت ، وانه لا يوجد ما يدل
على أن هناك من حاول الدخول عنوة .. أما الخدم فأنهم جميعاً فوق الشبها ت

فقال ليتش :

- سوف أتحدث الى مس إيلدن بشأن الخدم .. أما الآن فاني أرجو أن
تذكر لي اسم محامي الليدي تريسيليان أن امكن .
- انه مستر تريلو في ومكتبه في سان لو .
- شكراً لك يا مستر سترينج .. سوف نستفسر من مستر تريلو في عن
ثروة الليدي ..

- تعني انك تريد الاستفسار عن يرثها ؟ .
- نعم . أريد معرفة وصيتها وما أشبه ذلك .

- اما الرصية فلا علم بها .. اما ثروة الليدي الشخصية فانها لا تكاد تذكر .. ولكني أستطيع أن أحدد لك مجموع الممتلكات ..

- نعم ؟

- لقد اوصى زوجها السير ماثيو تريسيليان بكل ثروته وممتلكاته لها ، على ان تؤول بعد موتها الي أنا وزوجتي .

فهنف ليتش :

- أحقاً ..

ورمق نيفيل بنظرة جعلته ينكش واستطرد قائلاً :

- هل تعرف مقدار الثروة يا مستر سترينج ؟

- لا أستطيع أن اذكر القيمة بالتحديد .. ولكني اعتقد انها حوالي مائة الف جنيه .

- لكل منك ؟ ، انت وزوجتك ؟

- بل لنا معاً .

- مبلغ جسم ا .

فابتسم نيفيل وقال بسرعة :

- أنا شخصياً أمتلك ثروة طائلة .. ولا حاجة بي إلى أموال الآخرين .

وعادوا جميعاً إلى قاعة الطعام .. وهناك اتخذ المفتش ليتش الخطوة الثانية ، وهي الخاصة ببصمات الأصابع . فقال انها مسألة روتينية لاستبعاد ما يوجد منها في خدع الليدي .. وأبدى الجميع استعدادهم لإعطاء بصماتهم ، فذهب بهم ليتش إلى قاعة المكتبة حيث كان الضابط جونز في انتظارهم .

وشرع بائل وليتش بعد ذلك في استجواب الخدم فأوضح هرستال طريقته في غلق الأبواب وأقسم انه وجدها في الصباح كما تركها في المساء ، وقال أنه لم يوصد الباب الخارجي بالمزلاج لأن نيفيل كان قد ذهب إلى فندق ايسترهيد وكان من المحتمل أن يعود في وقت متأخر .

فسأله ليتش :

- هل تعرف متى عاد ؟.

- نعم .. عاد حوالى الساعة الثانية والنصف صباحاً ، فقد سمعت صوت وقوف سيارة ، ثم فتح الباب ودخل مسر نيفيل ، وصعد السلم .

- ومتى غادر هذا البيت ليذهب إلى الفندق ؟.

- حوالى الساعة العاشرة وعشرين دقيقة .. لقد سمعت صوت غلق الباب الخارجى عقب انصرافه .

كانت هذه هي كل المعلومات التي استطاع ليتش أن يستقيها من هريستال ، أما الخادومات والوصيفات فكان في حالة من الملح جعلت من المستحيل الوقوف منهن على ما يفيد التحقيق ..

وعندما انصرفت آخر وصيفة ، نظر ليتش إلى عمه ليستطلع رأيه فقال هذا :

- ادع الخادمة الطويلة القائمة ذات العينين الجاحظتين .. إذ يخيل إلي أنها تعرف شيئاً .

وجاءت الخادمة ، واسمها (أما ويلز) ، فقال لها باتل بلطف :
- دعيني أسدي لك نصيحة مفيدة يا مس ويلز .. من الخير لك ألا تكلمي شيئاً عن رجال البوليس لأن ذلك يجعلهم ينظرون اليك بعين الارتياح .. هل فهمت ما أعني ؟

- أؤكد لك أن ..

فأسكتها باتل بأن رفع يده وقال :

- انك رأيت أو سمعت شيئاً .. فما هو ؟.

- إن ما سمعته سمعته مسر هريستال أيضاً ولكنني واثقة من انه لا صلة له بالجريمة .

- ربما .. ماذا سمعت إذن يا مس ويلز ؟

- كنت في طريقي إلى غرفتي بعد الساعة العاشرة ، ومررت بمخدع الليدي تريسييليان وسمعتها ومستر نيفيل يتحدثان بأصوات مرقعة غاضبة لا تدع مجالات للشك في انها كانا يتشاجران .

- هل تذكرين شيئاً مما قيل ؟

- انني لم اكن انصت .

- مفهوم ، ولكن من المحقق انك سمعت بعض الكلمات

- كانت الليدي تقول انها لا تسمح بأن يحدث شيء معين في بيتها .. وكان مستر نيفيل يقول لها ان ذلك ليس من شأنها .

ولم يستطع باتل الوقوف من الخادمة على اكثر من ذلك ، فأذن لها بالانصراف وقال ليتش :

- لا بد ان يكون جوائز قد عرف شيئاً من البصبات .

- من الذي يقوم بتفتيش الغرف ؟

- الضابط ويليمز .

وفي هذه اللحظة ، اطل ويليمز برأسه من الباب وقال .

- يوجد بغرفة مستر ستارينج شيء أريد منك ان ترياه .

فتبعاه الى الجناح الذي يقيم به نيفيل ، ووجدا على ارض مخدع هذا الأخير كومة من الثياب تتألف من سروال أزرق وجاكيت من نفس اللون .

فسأل ليتش بحدة .

- اين وجدت هذه الثياب ؟

- كانت ملقاة في قاع الدولاب .. انظر إلى هذا يا سيدي .

واشار إلى اكمام الثوب واستطرد قائلاً :

- هل ترى هذه البقع الداكنة ؟ انها دماء تلوث الكم كله .

فتبادل باتل ليتش نظرة ذات معنى ، وقال الأول :

- هل ثمة شيء آخر ؟

- توجد كمية كبيرة من الماء على ارض الغرفة .
- تعني انه غسل آثار الدماء عن يديه بسرعة ؟ . ولكن الماء قريب من
النافذة ، وقد هطل المطر مدراراً ليلة أمس .
- ليس بالفزارة التي تصنع مثل هذه البركة .
قصمت باتل . .
كان يتخيل صورة رجل تلوث يدها واكمامه بالدم ، فخلع ثيابه ودسها في
اعماق دولابه ، ثم راح يزيل بالماء آثار الدماء عن يديه .
ونظر باتل إلى باب في الجدار فقال ويليمز :
- هذا الباب يؤدي إلى غرفة مسز سترينج وهو مغلق .
- مغلق ؟ من هذا الجانب ؟ .
- بل من الجانب الآخر .
ففكر باتل لحظة ثم قال :
- دعنا نرى كبير الخدم مرة اخرى
وجاء هرستال ، وكان متوتر الأعصاب ، ففاجأه باتل بقوله :
- لماذا لم تذكر لنا انك سمعت المشاجرة التي حدثت بين مسز سترينج
والليدي تريسيان ليلة أمس يا هرستال ؟
- الواقع انني لم أعرها أية أهمية . . فانها لم تكن مشاجرة ، وإنما مجرد
خلاف ودي في الرأي . .
- ماذا كان مسز سترينج يرتدي أثناء العشاء ليلة أمس ؟
ففكر هرستال قليلاً ثم قال :
- كان يرتدي ثوباً أزرق اللون
فهمز باتل رأسه مراراً ، وانصرف هرستال ، وفي ذات اللحظة دخل جوتز
وهو يادي الانفعال

قال :

- لقد حصلت على بصماتهم جميعاً .. ولا يوجد بينها سوى بصمات شخص واحد تماثل تلك التي وجدت على يد الم ضرب ..

فسأله باتل :

- من هو ؟

- إن البصمات التي وجدت على يد مضرب الجولف ، هي بصمات مستر نيفيل سترينج .

فاعتدل باتل في مقعده وقال :

- هذا يحسم الأمر .

- ٤ -

تهد الماجور ميتشيل وقال :

- يبدو أنه لا مفر من استصدار امر بالقبض عليه .. ان الادلة اكثر من كافية ..

فقال ليتش :

- يخيل الي ذلك يا سيدي .

- إن الدافع إلى الجريمة واضح .. وهو حصول سترينج آخر شخص رأها على قيد الحياة .. وهناك شاهدان يقرران انها ممها يتشاجر معها .. ثم هناك ثيابه الملطخة بالدماء ، وبصمات أصابعه التي لا يوجد على يد الم ضرب بصمات سواها .

فقال ليتش :

- لقد كنت دائماً أحب مستر سترينج .. فهو جنتلمان ورياضي وكثيراً ما

التقيت به في هذه المنطقة .

فقال بإتل :

- وهل ثمة ما يمنع الجنتلان من أن يكون قاتلا ؟ . على أن الشيء الذي
يثير قلقي هو المضرب ..

فهتف ميتشل :

- المضرب ؟

- نعم يا سيدي .. المضرب .. أو الجرس .. أو كلاهما .
- ماذا تعني ؟

- إذا كان مستر سترينج قد دخل المخدع وتشاجر مع الليدي وفقد
أعصابه وأهوى على رأسها بالمضرب ، فمعنى هذا ان الجريمة لم تكن متعمدة أو
مدبرة .. وإذا كانت الجريمة غير مدبرة او متعمدة ، فلماذا حمل مضرب
الجولف في تلك الساعة من الليل ؟ . ذلك إذا افترضنا انه فقد اعصابه وهو ما
استبعدناه ، فقد رأيت في ملاعب التنس فكان من أهدأ اللاعبين وأقدرهم على
ضبط مشاعره .

أما إذا كانت الجريمة مدبرة بهدف الاستيلاء على ثروة المعجوز فان ذلك
يتفق مع فكرة تخدير الوصيصة حتى لا تلي رنين الجرس ، ولكنه لا يتفق مع
حدوث المشاجرة واستخدام المضرب ..

لو كانت الجريمة مدبرة لحرص على تجنب المشاجرة ، ولتسلل إلى المخدع
بينما الوصيصة مخدرة ، وهناك يقتل المعجوز ويزيل آثار الدماء عن المضرب
ويعيده إلى مكانه ، ويصطنع من الأدلة ما يوحي بأن الجريمة ارتكبت بهدف
السرقه .

فقال ميتشل :

- ان استدلالك لا تخلو من المنطق يا بإتل ..

- الشيء الوحيد الذي يقلقني هو المضرب .. كيف كان يمكن لشخص

عن خمسمائة جنيه في العام ، وانها أوصت بهذا الإيراد لمس ماري ايلدن ،
وتمرت بعض النقود لكل من هرستال كبير الخدم ، وجين باريت وصيفتها .
فقال باتل :

- هاهم ثلاثة أشخاص يتعين علينا أن نراقبهم .

فابتسم ميتشيل وقال :

.. انك تراقب بكل انسان يا باتل .

- هناك جرائم قتل كثيرة ارتكبت طمعاً في الحصول على مبالغ لا تتجاوز
المئتين جنيهاً .. اليك مثلاً جين باريت .. انها تقيّد من وصية الليدي
فريسيليان .. افلا يحتمل أن تكون قد تناولت الخدر عمداً لتبعد عنها
الشبهات ؟

- إنها كانت قاب قوسين أو أدنى من الموت ، وقد منعنا الطبيب
من استجوابها .

- لعلها اسرقت في تناول الخدر بدافع الجهل .. وما يقال عن جين باريت
يصح ان يقال ايضاً عن ماري ايلدن وهرستال .

فقال ميتشيل :

- على كل حال أنا اترك الأمر لكما .. فامضيا في المهمة إلى نهايتها .

- 0 -

غادر المفتشان باتل وليتش مكتب ميتشيل ، وعادا قواً إلى القصر حيث
وجدا الضابطين ويليمز وجوتز في انتظارهما ، وقال الأول أنه قام بتفتيش
غرف الخدم ولم يجد بها ما يثير الشك ، وأنه أرسل ثوب نيفيل سترينج إلى

المعمل لتحليل بقم الدم ومعرفة فصيلتها . وقال جوتز انه احتجز ضيوف القصر في قاعة الطعام ولم يسمح لهم بمغادرتها ، وحينئذ التفت باتل إلى ليتش وقال له :

– عليك الآن باستجوابهم ، إعمل ذلك بحزم ، وابدأ بنيفيل سترينج ..

وانتقل المفتشان إلى قاعة المكتبة وجلسا أمام إحدى الموائد بينما اتخذ أحد رجال الشرطة مكانه في احد الاركان واستعد لتسجيل كل ما يقال في التحقيق ..

وجاء نيفيل ، وكان صاحب اللون متوتر الأعصاب فقال له ليتش :
– سألقي عليك بعض الاسئلة عن تحركاتك ليلة أمس يا مستر سترينج ..
وأود ان ألقت نظرك الى انك لست مرغماً على الاجابة على هذه الاسئلة وان
من حقك ان تستعين بمحاميك اذا شئت

فأجاب نيفيل ببساطة :

- سل ما شئت ...

– كذلك يجب ان احذرك بان ما ستقوله سيسجل عليك وسيكون دليلاً أمام المحكمة .

فلمعت عينا نيفيل بغضب وصاح :

– هل تهددني ؟

– كلا يا مستر سترينج .. انني أحذرك .

فهمز نيفيل رأسه وقال :

– اظن ان هذه كلها اجراءات روتينية . سل ما شئت .

– أخبرني ماذا فعلت ليلة أمس .. منذ ان تناولت طعام العشاء .

– بعد العشاء ، انتقلنا الى قاعة الاستقبال حيث تناولنا القهوة واستمعنا الى الاذاعة ، ثم قررت الذهاب الى فندق ايسترهيد لمقابلة احد أصدقائي .

- ما اسم هذا الصديق ؟.
- لا تيمر . ادوارد لا تيمر .
- هل هو أحد اصدقائك المقربين ؟.
- انه صديق فحسب .. وقد زارنا هنا وتناول الطعام معنا .
- فقال باتل :
- ألم يكن الوقت متأخراً للذهاب الى فندق ايسترهيد ؟.
- ان الفندق مفتوح طوال الليل .
- ولكن القوم في هذا القصر يأوون الى الفراش في وقت مبكر .. أليس كذلك ؟.
- نعم . ولذلك أخذت مفتاح الباب الخارجي حتى لا يضطر أحد الخدم للسهر وانتظار عودتي .
- ألم تفكر زوجتك في مرافقتك ؟.
- كلا .. كانت تشمر بصداع ، فذهبت الى غرفتها بعد العشاء .
- تكلم يا مستر سترينج .
- وعندما همت بمفادرة البيت ، جاءت جين باريت وصيقة الليدي وقالت لي ان الليدي تريد التحدث الي ، فذهبت الى مخدعها .
- اعتقد أنك آخر من رأى الليدي هل قيد الحياة يا مستر سترينج .
- اظن ذلك . وكأت عندما رأيته في احسن حال .
- كم من الوقت قضيت معها ؟.
- نحو عشرين دقيقة او نصف ساعة ..
- ومتى غادرت البيت ؟.
- حوالي الساعة العاشرة والنصف ، ولحقت بقارب العبور ، وذهبت الى فندق ايسترهيد حيث وجدت لا تيمر بعد ان بحثت عنه بعض الوقت ، فتناولنا بعض الشراب ولعبنا البلياردو ومر الوقت بسرعة ، فلم استطع اللحاق بالقارب

الذي ينتهي عمله عادة في الساعة الواحدة والنصف صباحاً . فعرض علي لاتييم مشكوراً ان ينقلني بسيارته ... فيدور بي حول (سولتنجتون) أي مسافة ستة عشر ميلاً تقريباً ، وقد غادرنا الفندق في الساعة الثانية ووصلنا الى هنا حوالي الساعة الثانية والنصف ، فقصدت الى غرفتي مباشرة ولم أر او أسمع ما يريب .. كان الجميع نياماً .. وفي الصباح ، سمعت الخادمة تصرخ ..

– ماذا كان موضوع حديثك مع الليدي تريليان ؟

– تحدثنا في أمور كثيرة .

– هل كان الحديث ودياً ؟

– طبعاً .

– ألم يقم بينكما شجار عنيف ؟ من الأفضل ان تقول الصدق .. فان بوسعي ان أذكر العبارات التي سمعت من حديثكما .

– قام بيننا خلاف في الرأي .

– ما سبب الخلاف ؟

– الواقع انها شديدة التزمّت وتحب دائماً ان تفرض ارادتها على الآخرين .. لقد اختلفنا في الرأي واحتدمت المناقشة بيننا ولكننا افترقنا صديقين .. واتفقنا على ألا نتفق .

– انك اعترفت صباح اليوم بان المضرب الذي استخدم في الجريمة هو مضربك . فبماذا تفسر بصماتك عليه ؟

– انه مضربي . وطبيعي ان توجد عليه بصمات أصابعي .

– ان وجود بصماتك عليه يدل على انك آخر شخص امسك به .

– قد يكون هناك من استخدم القفاز في الامساك به .

– لو صح ذلك لما القفاز آثار بصماتك .

– لا أعلم .. الحق انني لا أعلم .

- هل لديك ما تفسر به وجود آثار دماء على أكتاف فوبك ؟
 - آثار دماء هذا مستحيل ..
 - ألم يحدث مثلاً ان جرحت يدك ؟
 - كلا .. ان كل هذا جنون ! . انني لا أكاد أفهم شيئاً .
 فقال باتل :
 - ان الحقائق واضحة بما فيه الكفاية .
 - ولكن لماذا اقدم على ارتكاب جريمة كهذه ؟
 - انني اعرف الليدي تريسليان منذ نعومة أظفاري .
 - لقد ذكرت بنفسك أنك سترث بعد موتها ثروة طائلة .
 - ولكنني لست بحاجة الى النقود ، وفي استطاعتي ان أثبت ذلك .. دعني
 اتصل بمدير البنك الذي أتعامل معه .. تحدث اليه بنفسك ..
 فوافق باتل ، وتم الاتصال التليفوني وتحدث ليتش الى مدير البنك ، ثم
 وضع الساعة .
 فسأله نيفيل بلهفة :
 - ماذا قال ؟
 - قال ان لك رصيماً ضخماً .
 - أرايت انني لم أذكر سوى الحقيقة ؟
 فقال باتل بصوت رقيق :
 - ان لدينا من الأدلة ما يبرر استصدار أمر باعتقالك يا مستر سترينج ..
 ولكننا لم نفعل ذلك لاننا نريد ان نهيبك لك كل فرصة ممكنة لاثبات براءتك .
 - هل معنى ذلك أنكم مقتنعون بانني مرتكب الجريمة ولا ينقصكم إلا معرفة
 الدافع اليها ؟
 فتبادل المفتشان نظرة ذات معنى ولزما الصمت .
 فهتف نيفيل :
 - يا إلهي .. كأنني في حلم مزعج ! .

عندما دخلت كاي قاعة المكتبة كانت تشعر بمزيج من الخوف والفضول .
ولكن ليتش استدرجها بلطف الى الحديث عن الليلة السابقة فقالت انها شعرت
بصداع فأوت الى فراشها ولم تستيقظ إلا صباحاً على صراخ الخادمة .
وهنا تدخل باثل في الحديث وسألها :

- ألم يذهب زوجك إلى غرفتك للاطمئنان عليك قبل أن يغادر البيت
الى الفندق ؟

- كلا .

- معنى ذلك انك لم تريه منذ العشاء حتى صباح اليوم .. أليس كذلك ؟

- نعم .

- مسز سترينج .. انني لاحظت أن البسّاب الموصل بين غرفتك وغرفة
زوجك مغلق . فهل تعرفين من أغلقه ؟

- أنا أغلقته .

فصمت باثل . وانتظر ..

انتظر طويلاً كما ينتظر القط خروج الفأر من جحره

وكان صمته الطويل خيراً من عشرات الأسئلة فقد قالت كاي فجأة .

- لعل من الأفضل أن اصارحكم بكل شيء .. فقد سمع هرستال حديثنا
ومن الحق انه سيفضي به اليكم اذا لم أفعل أنا ذلك .. لقد شجر خلاف شديد
بيني وبين نيفيل ، ففضبت وقصدت الى غرفتي وأوصدت ذلك الباب .

-- وماذا كان سبب هذا الخلاف ؟

- هل يمكنك ان تعرف ؟ حسناً .. لقد تصرف نيفيل تصرف انسان
أحمق .. وكل ذلك بسبب تلك المرأة .

- أية امرأة ؟
- زوجته الأولى .. انها التي حملته على القდوم الى هنا .
- لكي تقابلك ؟
- نعم .. لقد زعم نيفيل أن الفكرة فكرته . وهذا غير صحيح .. أن
الفكرة نشأت عندما قابلها في لندن ..
- وماذا كان غرضها ؟
- كانت تريد ان تسترده .. انها لم تنفر له قط انه تركها من أجلي فارادت
ان تلتقم .. وهذا هو انتقامها .. انها لم تكف منذ وصولنا عن العمل على
اغرائه واجتذابه اليها ، مستعينة في ذلك بصديقها القديم توماس رويد ..
فراحت توم نيفيل ان رويد يريد الاقتراض بها .. وذلك لي تثير غيرته
وتبعث الحب في قلبه .
- وكفت عن الكلام وهي تلهث من الانفعال والغضب فقال باتل :
- كنت أظنه سيسر حين يعلم انها ستجد السعادة مع صديق قديم لها .
- يسر ؟ انه يتلظى غيرة .
- إذن فهو مولع جداً بها .
- فأجابت بمرارة :
- نعم .. وهي حريصة على ألا تخبوا نار حبه لها .
- ألم يكن بوسعك أن تعارض فكرة القدوم الى هنا اثناء وجودها ؟
- لم أشأ ان أبدو كأني أغار منها .
- ولكنك كنت تغارين منها . أليس كذلك ؟
- نعم .. كنت دائماً أغار منها . منذ البداية .. كنت أشعر كأنها معي
في البيت ، وكأنه بيتها وليس بيتي .. أعدت طلاء الجدران ، واستبدلت
الأثاث .. ولكن دون جدوى .
- شكراً لك يا مسز سترينج .. كان لا بد لنا أن نلقي عليك كل هذه

الأمثلة خاصة وانك سترثين مع زوجك مائة الف جنيه .

فهمت في دهشة :

— مائة الف جنيه ا وسأقال منها خمسين الفا ؟

— هل كنت تعلمين ذلك ؟ .

— كنت أعلم ان السير ماتيو أوصى بثروته لنيفيل وزوجته بعد وفاة

الليدي ، ولكنني لم أتوقع أن يكون الأثر بهذه الضخامة .

* * *

.وبعد انصرافها ، نظر باتل الى ليتش وقال :

— ما رأيك ؟ . انها فاتنة .. ولكنها ليست سيدة مهيبة .

* * *

واستدعيت ماري ايلدن فررت ما تعرفه عن أحداث الليلة الماضية ،

وأيدت أقوال نيفيل وقررت انها آوت الى فراشها في الساعة العاشرة .

فسألها باتل :

— هل تعرفين من كان صاحب فكرة الجمع بين الزوجتين هنا ؟ .

— انه نيفيل .. وقد قرر ذلك بنفسه .

— ألم تكن مسز أودري هي صاحبة الفكرة ؟ .

— كلا .. بتاتا ..

كانت أودري يرتدي ثوباً باهت اللون أبرز شحوبها .. ولكنها كانت
هادئة الأعصاب فلم تضطرب ولم تتلعثم ، واجابت على اسئلة باتل بأنها ذهبت
الى فراشها في الساعة العاشرة ولم تسمع شيئاً خلال الليل .
فقال باتل :

- معذرة اذا اقحمت نفسي في شؤونك الخاصة .. ولكن هل تسمحين لي
بأن اسألك كيف اتفق وجودك في هذا القصر ؟
- انني تعودت أن اقضي هنا هذا الشهر من السنة ، واتفق هذه المرة أن
أبدي زوجي السابق رغبته في الحضور في نفس الشهر .. وسألني عما اذا كان
لدي مانع .. فأجبتة سلباً .
- هل الفكرة كانت فكرته ؟

- نعم .
- ألم تكن فكرتك ؟
- كلا ..
- ولكنك وافقت ؟
- نعم .. لم يكن من اللائق أن ارفض .
- ألا تحقدين على زوجك السابق ؟
- كلا .
- انك سيدة كريهة ، طيبة القلب .
فلم تجب ..

قصمت ، طويلاً على نحو ما فعل ما كاي ، ولكن أودري لم تكن كاي ..
لم تكن بمن يفرحهم صمت الآخرين بالكلام والثروة ، كان يوسعها أن تصمت طويلاً
دون أن تبدر عليها بواذر القلق .
ولم يسع باتل إلا التسلم بالهزيمة .

كان المفتش ليتش يهم باستدعاء توماس رويد لاستجوابه حين دق جرس التليفون فتناول الساعة .. وأصغى وهتف :

- أهذا أنت أيها الطبيب ؟ . تقول انها استردت وعيها وتكلمت ؟ ماذا ؟

ثم التفت الى باتل وقال .

- تعال يا عماء ، تعال واسمع .

فتناول باتل الساعة وأنصت طويلاً ثم التفت الى ليتش وقال :

- أدع نيفيل سترينج .

وعندما دخل نيفيل ، كان باتل يضع الساعة .

وكان نيفيل ممتقع الوجه شارد البصر ، فقال باتل :

- هل تعرف شخصاً يملك بكل قوته يا مستر سترينج ؟ هل آذيت

أحداً ؟ ففكر جيداً .

ففكر نيفيل طويلاً ثم قال :

- إذا كان هناك شخص آذينه فهو زوجي الأولى ، لقد تركتها من أجل

امرأة أخرى ، ولكنني واثق من انها لا تمقتني ، انها ملاك .

- انك رجل سعيد الحظ يا مستر سترينج ، انك نجوت بمحض الصدفة .

- ماذا تعني ؟

- بعد أن غادرت أنت البيت ليلة امس ، دقت الليدي تريسييليان الجرس

فذهبت اليها جين باريت ، ووجدتها على قيد الحياة ، وأكثر من ذلك أن جين

باريت أبصرت بك وأنت تهبط السلم وتنادر القصر ، لقد أفاقت الوصيغة من

غيوبيتها وتكلمت .

- والمضرب ؟ وبصمات الأصابع ؟
- انها لم تقتل بالمضرب ، والدكتور لازني غير مرتاح الى المضرب كأداة
للجريمة . ان الليدي قتلت بأداة أخرى وقد وضع المضرب لاثارة الشبهات
حولك . . وربما كان القاتل قد سمع مشاجرتك مع العجوز ووجد الفرصة
سائجة لتوريطك في الجريمة ، او ربما .

وصمت لحظة ثم سأل :

- من الذي يمتنك الى، هذا الحد يا مستر سترينج ؟

- ٩ -

استقبل باتل وايتش قارب العبور الى إيسترهيد ووصلا إلى الفندق في الوقت
الذي كان فيه إدوارد لايمر بهم بالخروج ، وما ان قدما نفسيهما اليه حتى
أبدي استعداده التام لمعاونتهما ، قال :

- نعم ، جاء نيفيل ليلة أمس ، وكان عابساً متجهماً ، وقال لي انه
تشاجر مع الليدي .

فقال باتل :

- لقد فهمت منه انه بحث عنك بعض الوقت .

- نعم ، ولا أعلم لماذا ، فقد كنت جالساً في الردهة ولكنه قال انه لم
يرني ، وربما أكون قد خرجت الى الحديقة لبضع دقائق .

- وماذا فعلتما بعد ان لعبتما البلياردو ؟

- تحدثنا قليلاً ثم فطن نيفل الى انه تخلف عن موعد العودة بقارب العبور
فنقلته بسيارتي ووصلنا الى القصر في نحو الساعة الثانية والنصف .

- وهل ظل مستر سترينج معك طوال المساء ؟..
- نعم .. وفي استطاعتك ان تسأل خدام هذا الفندق .
- شكراً لك يا مستر لاتيمر .
وعندما انصرفا ، قال ليتش :
- ما غرضك من معرفة تحركات فيفيل وسترينج بعد أن ثبت براءته ؟ .
فابتسم باتل وهتف ليتش :
- آه .. فهمت ، انك تريد التحقيق من تحركات لاتيمر .
- أردت ان أعرف كيف قضى لاتيمر ليلة امس ، نحن نعلم انه كان مع
سترينج من الساعة الحادية عشرة والربع حتى منتصف الليل ، ولكن اين كان
قبل ذلك حين جاء سترينج ولم يحده ؟ .
وواصل تحرياتها مع عامل البار والخدم وعمال المصعد .
وعلمنا ان لاتيمر قد شوهد في ردهة الفندق بين التاسعة والعاشره ، وقالت
لها إحدى الوصيفات انها رأت لاتيمر في مكتبة الفندق مع سيدة بدينة تدعى
مسز بيدروس ، وقررت هذه الأخيرة انه كان معها في المكتبة حقاً . ولكنها
تعتقد أن ذلك كان حوالي الساعة الحادية عشرة ..

- ١٠ -

كان باتل يتفقد الغرف بنفسه حين توقف بغتة أمام باب مخدع أودري .
كان للباب مقبضان ، أحدهما - وهو الأيمن يعلوه الصدا والآخر لاسع
براق ..

قال وهو يشير الى المقبض اللامع .
- أراهن ان هذا المقبض تمكن نزع بمجرد إدارته إلى اليسار ..
فقد ليتش يده .. وادر المقبض فاتفصل من مكانه ..

قال باتل :

- إذا فحصت هذا المقبض جيداً ، فستجد فيه آثار دماء . لقد كلن هذا
المقبض هو أداة الجريمة ..

ثم أطل من نافذة الغرفة ، وأجال البصر في الحديقة تحت النافذة ولم يلبث
أن قال :

- يوجد شيء أصفر اللون يتدلى من غصن هذه الشجرة . على به ، فقد
يكون له شأن باللغز الذي نمالج حله ..

- ١١ -

كان المفتش باتل يجتاز بهو القصر حين لحقت به ماري إيلدن وقالت له :

- هل تستطيع التحدث اليك لحظة يا سيدي المفتش ؟

- بلا شك يا مس إيلدن .

وفتح باب قاعة الطعام ، ودخل .. فتبعته .. قالت له :

- أريد أن أقول لك شيئاً أرى انك ينبغي أن تعرفه ..

وحدثته عن زيارة مستر تريفز وعن قصة الجريمة التي رواها ، وظهرت
دلائل الاهتمام على وجه باتل وسأل .

- هل قال انه يستطيع التعرف على ذلك الطفل الذي أطلق السهم ؟

- نعم ، ويبدو أن الطفل كانت له علامة مميزة فقد قال مستر تريفز انه
يستطيع أن يتعرف عليه في أي مكان .

ثم حدثته عن موت مستر تريفز الفاجع في تلك الليلة .

فنهف باتل :

- هذا شيء جديد بالنسبة الي .

- ماذا تعني ؟ .
- أعني أن هذه أول جريمة ترتكب بمجرد وضع لوحة على باب مصعد .
فنظرت اليه في هلع وقالت :
- هل تظن حقاً انها ..
- انها جريمة قتل بارعة .. وسريعة .. كانت يمكن طبعا ألا تنجح
ولكنها نجحت .
- هل قتل مستر تريفز لمجرد انه كان يعلم ؟ .
- كان يعلم ، وكان يوسعه أن يرشدها الى ذلك الشخص .. اننا الآن
نسير في الظلام ، ولكنني استطيع أن اقول لك يا مس إيلدن اننا أمام جريمة
دبرت ببراعة منذ وقت طويل .
وبعد إنصراف ماري إيلدن ، قصد باتل الى قاعة المكتبة ودق بابها وسمع
صوت نيفيل وهو يقول :
- ادخل ..
وكان بالغرفة رجل طويل القامة قد قتل عنه نيفيل انه مستر تريلوني المحامي .
فقال باتل معتذراً :
- يؤسفني أن ازعجك ، ولكن ثمة مسألة أريد ان استوضحها .. انني أعلم
يا مستر سترينج انك تراث نصف ثروة السير ماتيو .. ولكن من الذي يرث
النصف الآخر ؟ .
- زوجتي .
- أعلم ذلك .. ولكن أيها ؟ .
- آه . فهمت .. ان التي تراث نصف الآخر هي أودري . فهي التي كانت
زوجتي عندما كتب السير ماتيو وصيته . اليس كذلك يا مستر تريلوني ؟ .
فأوما تريلوني برأسه موافقاً وقال :

- ان الوصية واضحة .. وتفضي بقسمة الثروة مناصفة بين نيفيل سترينج وأودري سترينج ، والطلاق الذي حدث لن يغير من الأمر شيئاً .
- هل أفهم من ذلك ان مستر اودري سترينج تعرف هذه الحقائق .
- طبعاً
- ومستر سترينج الحالية ؟ .
- فقال نيفيل :
- كاي ؟ أظن انها تعرف .. الواقع انني لم أحدثها كثيراً في هذا الموضوع .
- فقال باتل :
- يخيل إلي انها أساءت فهم الموقف .. انها تعتقد أن الميراث سيوزع بينك وبين زوجتك الحالية .. أو ان هذا على الأقل ما فهمته منها صباح اليوم .
- ولذلك جئت الآن للوقوف على الحقيقة .
- فقال نيفيل :
- على كل حال ، أنا سعيد جداً من أجل أودري ، فقد كانت تعاني بعض الضيق ، ولكن أزمته ستنتهي الآن .
- ولكفي أظن انه كان من حقها أن تحصل منك على نفقة بعد الطلاق .
- فقال نيفيل :
- هناك شيء يا سيدي اسمه الكبرياء .. ولقد رفضت أودري بدافع الكبرياء أن تأخذ بنساً واحداً من النفقة الضخمة التي عرضتها عليها .
- فقال تريلوني :
- نعم ، انه عرض عليها نفقة سخية ، ولكنها ردتها وأبت قبولها .

تناول ما كوبرتر عشاءه في الفندق وخرج للزعة ، وقادته قدماء للمرة الثانية خلال ليلتين متتاليتين الى الربوة التي حاول منذ بضعة شهور أن يلقي بنفسه من فوقها .

وكان الجو صحواً والسماء صافية فأرسل بصره الى القصر الكبير الذي يطل على النهر من ناحية ، وعلى البحر من ناحية أخرى ..
- لا بد أنه قصر الليدي تريسيليان التي سمع نبأ مصرعها في الفندق وقراء في الصحف .

وكان منسرفاً الى تأملاته .. حين رأى فجأة شعباً أبيض يندفع نحوه بسرعة وكان آلاف الشياطين تطارده .

أدرك معنى هذا الاندفاع اليائس وانبعثت واقفاً ، ووثب في أثر الشبح وأمسك به في ذات اللحظة التي أوشك فيها ان يهوي الى البحر .. وهتف وهو يحيط الشبح بساعديه :

- كلا ... كلا ..

وقاومه الشبح بقوة ، وفي صمت .. ولكن مقاومته لم تستمر طويلاً . وما لبثت قواه أن خارت . ووجد ما كوتر بين يديه امرأة فاقنة نحيلة الجسم قبكي في صمت .

قال لها :

- لماذا تريدان أن توردي نفسك موارد التهلكة ؟ . هل انت تعيية ؟ .

فأجابت بصوت خافت لاهت :

- انني خائفة ..

— خائفة ؟ . ومم ؟ ..

— من الشنق .

— ولهذا تريد أن ..

ولم يتم عبارته .. فقد رأها تغمض عينيها ، وأحس يحسدها يرتجف بين ذراعيه .

وبسرعة وذكاء .. استطاع أن يضع النقط فوق الحروف . قال :

— أنت من قصر الليدي ترسيان ؟ . السيدة التي قتلت ؟ لا بد أنك مسر ستينج .. الزوجة الاولى .

فأومات برأسها علامة الإيجاب

فقال ببطء ، وهو يحاول الاستدلال على الحقائق من الشائعات التي سمعها ،
والتفصيلات التي قرأها في الصحف .

— لقد حامت الشبهات حول زوجك . أليس كذلك ؟ ولكنهم وجدوا
أن الأدلة زائفة وانها اصطنعت عمداً لاثامه .

وكف عن الكلام .. ولاحظ انها لم تعد ترتجف ، وانها تنظر اليه نظرة
طفل وديع ..

قال :

— آه .. لقد فهمت .. انه تركك من أجل امرأة أخرى . وكنت تحبينه
.. ولذلك ..

فقالت بجمدة :

— كلا .. ليس الامر كما تظن ..

فقال لها بحزم :

— عودي الى البيت . ولا تخشين شيئاً .. هل سمعت ؟ -وف أقف بجانبك
الى النهاية .

كانت ماري ايلدن متعبة وتشعر بصداق فتمددت على أريكة في قاعة الاستقبال .

لم يكن بالبيت احد سواها هي والخدم فقد ذهبت كلتي وأودري بسيارة لاتيير الى (سولتجتون لشراء ثياب الحداد بينما خرج نيفيل وقوماس رويد للزمة .

وفيا هي تفكر في أحداث الأيام الأخيرة ، اذا يهرستال يقول لها :

- جاء رجل يطلب مقابلتك يا سيدتي ، وقد ذهبت به الى قاعة المكتبة .
- ما اسمه ؟ .

- قال ان اسمه ما كويرتر .

- انني لا اعرف أحدا بهذا الاسم .. لا بد وانه احد نخبري الصحف وما كان ينبغي ان تسمح له بالدخول .

- انه صديق لمس أودري وليس نخبراً يا سيدتي .

- هذا امر آخر .

واصلحت من زينتها ، وقصدت الى قاعة المكتبة ، وادهشها ان ترى هناك رجلاً طويل القامة متجهماً الوجه .. لا يمكن ان يكون صديقاً لأودري .

ولكنها مع ذلك قالت له بلطف :

- يؤسفني ان أقول لك أن مسز سترينج ليست هنا الآن . هل أردت

مقابلتها ؟

فنظر اليها بامعان وقال ببطء .

- هل انت مس ايلدن ؟ .

- نعم ..

— اذن لا شك انك تستطيعين مساعدتي . انني بحاجة الى حبل .
فقلت بدهشة :

— حبل ؟ .

— نعم .. اين تضعون الحبال عادة ؟ .

— في غرفة الأشياء المهمة .

وقادته الى تلك الغرفة وفتحت بابها . وأجال ما كويرتر البصر في جوانب المكان ، واستقرت عيناه على لفة حبال كبيرة موضوعة فوق إحدى الصناديق فتقدم منها وأمسك بالحبل . ثم التفت الى ماري ايلدن وقال :

— ارجو ان تتذكرني ما سأقوله لك الآن يا مس ايلدن .. ان التراب يغطي كل شيء في هذه الغرفة فيما عدا هذا الحبل فهل لك ان تلمسه بيدك ؟ .

فامسكت بالحبل وقالت :

— انه مبتل .

— تماماً .

ودار على عقبيه لينصرف فقالت له :

— ألا تريد الحبل ؟ .

— كلا . انما أردت فقط ان أعرف مكانه . وسوف أكون شاكراً اذا اغلقت باب هذه الغرفة . وقدمت المفتاح للمفتش باتل او المفتش ليتش .

— ولكنني لا افهم شيئاً ..

— ليس من الضروري ان تفهمي .

وشد على يدها شاكراً ، وانصرف ، وتركها في حيرة شديدة .

وبعد بضع دقائق ، عاد نيفيل وتوماس .. وتبعتهما أودري وكلي بعد قليل .

ولم يكده الجميع يفرغون من تناول طعام الغداء وينتقلون الى قاعة الاستقبال حتى أعلن مرستال قدوم رجال البوليس .

ودخل الغتتش باتل وهو متألق الوجه وقال معتذراً :
— يوسفني ان أزعجكم مرة أخرى ، ولكن يوجد أمر أو اثنان أود معرفة
المزيد عنها .. فمثلاً قفاز من هذا ؟ .

وأخرج من جيبه قفازاً صغيراً من الجلد الأصفر وقال محدثاً أودري :
— هل هذا قفازك يا مسز سترينج ؟ .

قهزت أودري رأسها وأجابت :

— كلا .. انه ليس قفازي .

— وأنت يا مس ايلدن ؟ .

ليس لدي قفازات بهذا اللون .

فقالت كاي :

— دعني أراه .

وتناولت القفاز وقحصته وهزت رأسها سلباً .

فقال لها باتل :

— حاولي ان تجريه .

فحاولت كاي ووجدته صغيراً . وكذلك حاولت ماري ايلدن ، بنفس

النتيجة ، فتحول باتل الى اودري وقال :

— أظن انه قفازك .. ان يدك أصغر من أيديها .

فوضعت أودري يدها في القفاز .. فلامها تماماً .

فقال نيفيل بمحبة :

— لقد قالت لك أنه ليس قفازها ..

— لعلها فعلت ذلك عن سهو أو عن خطأ .

فقالت أودري :

— ربما كان قفازي .. ان القفازات تلتصق

فقال باطل :

- نحن على كل حال قد وجدناه بين أغصان شجرة تحت نافذتك ..
فوجم الجميع .. وفنحت أودري فيها ولكنها لم تنطق بكلمة وأخيراً
صاح نيفيل :

- أصغ إلي أيها المفتش . ان .
ولكن باطل قاطعه في هدوء قائلاً :
- أريد أن أتحدث اليك على انفراد يا مستر سترينج .
- على رسلك .. هلم بنا إلى قاعة المكتبة .

وتبعه المفتشان الى قاعة المكتبة ، وما أن أغلق باب القاعة حتى قال باطل :
- لقد وجدنا أشياء عجيبة في هذا البيت يا مستر سترينج .
- أشياء عجيبة ا . ماذا تعني ؟ .

فاوماً باطل الى ليتشن ، وغادر هذه الغرفة وعاد بعد قليل وبمسده أداة
غريبة . فتناولها باطل وقال :
- هذه الأداة تتألف من كرة من النحاس الثقيل هي في الواقع مقبض أحد
الأبواب ، وقد وضعت في تجويفها يد مضرب من مضارب التنس .. واستخدمت
في قتل الليدي ترسيبيان .

- هذا خفيف ا ولكن أين وجدت هذه الأداة ؟ .
- ان الكرة النحاسية هي مقبض باب كما ذكرت ، وقد قام القاتل بتنظيفها
من الخارج بعد الجريمة .. ولكن أهمل تنظيف تجويفها .. وقد وجدنا آثار
دماء في التجويف .

كذلك أعاد القاتل يد مضرب التنس الى مكانها . وألصقها بالمضرب
بواسطة شريط طوي لاصق ثم ألقي به في الدولاب تحت درج السلم مع عشرات
من المضارب .

- يا لك من رجل بارع ا . ألم تجد عليها بصمات أصابع ؟ .

— ان المضرب خفيف الوزن ، ما يدل على انه مضرب مسز كاي سترينج ،
وقد وجدنا عليه بصمات أصابعها وكذلك بصمات أصابعك .. ولكننا وجدنا
أيضاً من الآثار ما يدل على أن شخصاً يلبس قفازاً قد أمسك به بعدكم .

كذلك وجدنا بصمات أخرى على الشريط الطبي اللاصق هي بفسير شك
بصمات الشخص الذي أعاد يد المضرب الى مكانها بعد الجريمة .. ولن أقول
الآن بصمات من هي .. فان لدي ملاحظات أخرى أريد أن أبديها .

قال ذلك وصمت لحظة ثم استطرد قائلاً :

— انني أريدك على أن تعد نفسك لمفاجأة يا مستر سترينج .. ولكن دعني
أسألك أولاً .. هل أنت واثق من أن مسز أودري ليست هي صاحبة فكرة
اجتماعكم في هذا القصر ؟ .

— انها فكرتي أنا .. وليست فكرة أودري ..
وفي هذه اللحظة فتح الباب ودخل توماس رويد .
قال :

— يؤسفني أن أزعجكم ولكنني أريد أن أكون في الصورة .

فنظر اليه نيفيل بوجه عابس وقال :

— هذا اجتماع خاص أياها الصديق .

— ذلك لا يهمني .. لقد كنت ماراً بالباب وسمعت اسم أودري بتردد

— وما شأنك أنت بأودري ؟ .

— بل ما شأنك أنت ؟ . انني لم أصارح أودري بشيء .. ولكن في نيتي
أن أطلب يدها .

وهنا سعل المفتش باطل وقال :

— لا أهمية لذلك يا مستر سترينج .. انني أريد أن ألقى عليك سؤالاً

آخر .. لقد جاء في تقرير معمل التحاليل عن الثوب الذي كنت ترتديه في ليلة
الجريمة انه وجدت على كتف الثوب وفي أحد اكمامه بعض شعرات شعراء فهل

تعرف كيف وصلت اليه ؟.

— لعلها من شعري .

— كلا .. انها شعرات طويلة .. من رأس سيدة ..

لا بد انها من رأس أودري .. لقد تذكرت الآن .. ان شعرها اشترك
ذات مساء بأحد الأزرار في كم ثوبي ..

— كانت هناك شعرات على كتف الثوب .. كذلك وجدت على ياقة الثوب
آثار من مسحوق (برامافيرا) .. وهو مسحوق غالي الثمن ذو رائحة زكية
ما تستعمله السيدات في التجميل .. ان مسز كاي تستعمل مسحوقاً اسمه (قبة
الشمس) .. أما (برامافيرا) فانه مسحوق مسز أودري .

— ماذا تريد أن تقول أيتها المفتش ؟.

— أريد أن أقول أن مسز أودري ارتدت ذلك الثوب .. هذا هو التفسير
الوحيد لوجود الشعرات البيضاء والمسحوق ولقد رأيت القفاز يلائم يدها ..
كان ذلك قفاز اليد اليمنى .. أما قفاز اليد اليسرى .. فها هو .
وأخرج من جيبه قفازاً وضعه على المائدة فصاح نيقيل في زعر :
— ما هذه البقع التي به ؟.

— انها آثار دماء يا مستر سترينج .. والقفاز هو قفاز اليد اليسرى ..
ومسز أودري عسراء تستعمل يدها اليسرى .. لقد لاحظت ذلك حين رأيته
أول مرة أمام مائدة الطعام .. وكان وضع فراش الليدي تريسيليان وموضع
اصابتها يدلان على أن القاتل شخص أعسر .. أما المقتبض النحامي فكان مقبض
باب غرفة مسز أودري .. كل شيء واضح يا مستر سترينج .. وأصابع الاتهام
تشير إلى شخص واحد .

— هل تريد أن تقول أن أودري دبرت كل هذه الخطة المحككة بصبر وأناة ،
وقتلت السيدة المعجوز التي عرفتها كل هذه السنين لكي تحصل على نصيبها
من الميراث ؟.

- انا لا أقول شيئاً يا مستر سترينج .. ولكنها الأدلة تتكلم ويجب ان تعلم ان هذه الجريمة انما دبرت أولاً وأخيراً للكيد لك ومن الواضح ان مسز أودري لم تكف منذ تركتها عن التفكير في وسيلة للانتقام منك . وربما خطر لها في وقت ما ان تقتلك ولكنها وجدت ان ذلك لا يكفي ففكرت في ان تدفع بك الى المشنقة . وسأنت لها الفرصة حين تشاجرت انت مع الليدي ترسيليان ، فتسللت الى غرفتك وارتدت ثوبك وقتلت السيدة وتركت مضرب الجولف في مكان الجريمة للايقاع بك ، ولم ينقذك سوى ان الليدي دقت الجرس وان الوصيفة وجدها على قيد الحياة عقب انصرافك .

فدفن نيفيل وجهه بين يديه وصاح :
- يا الهي ا. انني لا اصدق .. ان تصورك للجريمة كله خطأ .. وأودري هي أنبل وأكرم امرأة رأيته في حياتي .

فتنهذ بإتل وقال :
- ليس من شأني ان افقشك يا مستر سترينج .. انما اردت فقط ان اعدك لتلقي الصدمة .. انني احمل أمراً بالقبض على مسز أودري سترينج .. ويحتمن بك ان تعد محامياً للدفاع عنها .

- هذا غير محقول ..
فقال توماس رويد بهدوء .
- كفى صياحاً يا نيفيل .. الا ترى ان الممونة الوحيدة التي تستطيع ان تقدمه لاودري هي ان تتخلى عن اوامامك عن الشهامة الفرنسية والفروسية وتقول الحقيقة .

- الحقيقة ؟ . اية حقيقة ؟
- الحقيقة عن اودري وأدريان ..
ثم نظر الى المفتش وقال :
- ان لديك فكرة خاطئة عن بعض الحقائق ايها المفتش ، ان نيفيل لم

يهجر أودري .. هي التي هجرته وهربت مع أخي أدريان .. ثم قتل أدريان في حادث سيارة ، وتصرف نيفيل بشهامة ، ووافق على أن تطلب أودري الطلاق باعتباره هو الخطي، والمألوم .

فقال نيفيل بصوت خافت :

— لم أأشأ أن يطلع اسمها بالوحل . ولكني لم أكن أعلم أن هناك من يعرف هذه الحقائق .

فقال توماس :

— لقد حدثني أدريان بكل شيء في أحد رسائله .. ومن هذا ترى يا سيدي المفتش أنه ليس ثمة ما يدعو أودري إلى أن تمهد على نيفيل . بل على العكس .. أنها يجب أن تشمر نحوه بالوفاء وعرفان الجليل ، ولقد عرض عليها مبلغ كبيراً كنفقة ولكنها رفضته . وكان من الطبيعي إزاء كل ذلك ألا ترفض رجاءه حين اقترح عليها أن تقابل كلي .

فقال نيفيل :

— أرايت يا سيدي المفتش .. أن هذا يبطل الدافع إلى الجريمة .. أن توماس على حق .

فقال باتل :

— الدوافع شيء .. والحقائق شيء آخر . جميع الحقائق تؤكد أنها مذنبه .

فقال نيفيل :

— لقد كانت كل الحقائق منذ يومين تؤكد أنني مذنب .

— بماذا تريد أن تقنعني بأن هناك شخصاً ينقم عليك ، فلما فشلت التهمة التي لفقها لك ، حولها إلى مسز أودري ؟ هل هناك شخص يمتك أنت وزوجتك السابقة .

فقلب نيفيل كفيه ولم يجب .

وقال باتل :

— لا جدوى من هذا الحوار يا مستر سترينج .. يجب ان اؤدي واجبي .

وغادر الغرفة مع ليتش ، وتبعها نيفيل وتوماس الى قاعة الاستقبال .

ونفضت اودري خالما ابصرت بهم وتقدمت لمقابلتهم وقالت وهي تنظر في عيني باتل :

— انت تريدني .. أليس كذلك ؟ .

— لدي أمر بالقاء القبض عليك يا دس اودري يتهمه قتل الليدي كاميللا ترسيليان في يوم ١٢ سبتمبر الماضي ، ويجب إن احذرك بأن كل ما تقولينه سيسجل عليك ويتخذ دليلا ضدك في المحكمة .

فتنهت اودري واشرق وجهها وقالت بارتياح :

— كم أنا مسرورة بأن كل شيء قد انتهى .

فصاح نيفيل :

— اودري .. لا تتكلمي .

— ولما لا يا نيفيل ؟ كل هذا صحيح .. وقد تعبت .

فنظر ليتش الى عمه . وأدهشه شرود ذهنه ، والذهول الذي ارتسم على وجهه . كان يحملق في وجه اودري وكأنه لا يصدق عينيه ..

* * *

وفي هذه اللحظة الحاسمة أطل مرستال من الباب وأعلن قدوم مسز ماكويرتر

ودخل ماكويرر بقدم ثابتة واتجه مباشرة الى باتل وقال :
- هل انت مفتش الشرطة المنوط بقضية الليدي ترسيليان ؟

- نعم .
- ان لدي أقوالاً هامة اريد الادلاء بها ، ويوسفني انني لم أحضر قبل الآن
ولكن الحادث الذي رأيته في ليلة الجريمة لم تتبين لي خطورته إلا اليوم . هل
استطيع التحدث اليك على انفراد ؟

وهنا اقترب ليتش من عمه وممس في أذنه كلاماً .. واقتاد باتل ماكويرر
الى قاعة المكتبة وهناك قال له :

- يقول زميلي انه رأى قبل الآن .. في الشتاء الماضي .

- نعم .. انني حاولت الانتحار في شهر يناير الماضي بأن ألقيت بنفسي
من فوق رهوة (ستار هيد) .. وخطر لي منذ أيام أن أزور البقعة التي
اوشكت ان انهي فيها حياتي .. كان ذلك في يوم الاثنين الماضي .. وفيما كنت
أنظر الى الأفق عبر خليج ايستد هيد ، رأيت شيئاً أعتقد ان له صلة بالجريمة
.. واليك ما رأيته :

- ١٤ -

عندما عاد المفتش باتل الى قاعة الاستقبال ، لم يكن وجهه يعبر عن شيء .
قال يحدث أودري :

- أرجو ان تأخذي معك بعض ما تحتاجين اليه من أمتعة .. وسيرافقك
المفتش ليتش الى غرفتك .

فقالت ماري ايلان :

-ساذهب معها .

وخرجت المراتن مع ليتش ، وقال نيفيل يحدث باتل :

- ماذا قال لك هذا الرجل ؟ .

- تعني ماكويرتر ؟ . انه روى لي قصة عجيبة .

- ألم يقل لك شيئاً يفيد اودري ؟ . هل انت مصمم على اعتقالها ؟

- انني اؤدي واجبي يا مستر ستارينج ..

- اذن يجب ان اتصل بالحامي تريلوني .

- لا ضرورة للمجلة يا مستر ستارينج .. سأقوم أولاً بتجربة معينة على

ضوء القصة التي رواها ماكويرتر . انني انتظر فقط حق ترحل مس اودري .

وشهدت اودري في هذه اللحظة وهي تهبط درج السلم مع المفتش ليتش

كان وجهها هادئاً . لا أثر فيه للانفعال . فهدف نيفيل .

- اودري .

فرمقه بنظرة باهتة وقالت :

- انني بخير يا نيفيل . ولست أبالي شيئاً ..

ووقف توماس رويد بالباب كأنما ليحول دون خروجها فنظرت اليه وابتنست

وغغمت قائلة :

- توماس .. الخلس ..

فغمغم قائلاً :

- اذا كان هناك ما يمكن عمله ..

- لا احد يستطيع ان يفعل شيئاً ..

وخرجت مرفوعة الرأس الى حيث كانت سيارة البوليس في انتظارها ..

* * *

وبعد قليل قال المفتش باقل :

- قلت ان هناك تجربة يجب ان أقوم بها .. انت ماكويرو ينتظرك في
زورق العبور .. فهلوا بنا جميعاً .. تعال معنا يا مس لايمر .

الفصل الخامس

ساعة الصفر

كان الهواء بارداً ، فضمت كاي معطفها حول جسدها ، وانطلق الزورق البخاري يشق عباب الماء حتى اقترب من الربرة التي حاول ماكويتر الانتحار بالقاء نفسه من فوقها وهناك اوقف بائل الزورق وقال بصوت من يتحدث الى جماعة من اصدقائه :

- لقد كانت هذه القضية من اغرب القضايا التي مرت بي .. ولذلك اريد ان امهد لها بكلمة عن جرائم القتل بصفة عامة ..
انكم حين تقرأون عن جريمة ، سواء خيالية او واقعية ، تبدأون دائماً بالجريمة ذاتها . وهذا خطأ .. لان الجريمة هي ذروة ظروف وعوامل مختلفة تتلاقى في وقت معين ، وفي مكان معين .. وابطالها هم ائس مختلفون . يأتون من شتى انحاء العالم .. لاسباب غير متوقعة .. فمسترقوماس رويد مثلاً جاء من الملايو .. ومستر ماكويتر جاء لزيارة مكان حاول الانتحار فيه .. اما الجريمة ذاتها فكانت نهاية القصة .. كانت ساعة الصفر .

وتريث قليلاً ثم قال :

- نحن الآن في ساعة الصفر .

فتحولت اليه عدة وجوه عليها علامة استفهام وقالت ماري ايلدن :

– هل تعني ان مصرع الليدي ترسيليان كان خاتمة ظروف مختلفة اجتمعت للقضاء عليها ؟

– كلا يا مس ايلدن .. ان مصرع الليدي ترسيليان كان حادثاً عرضياً في طريق القاتل الى هدفه الرئيسي .. والهدف الرئيسي للقاتل هو القضاء على اودري سترينج .

وقد دبرت الجريمة منذ وقت طويل .. ولم يغفل القاتل ادق التفاصيل .. وكان الهدف ، ان تشنق اودري سترينج حتى تموت .

وبدا المجرم خطته باصطناع طائفة من الأدلة لادانة نيفيل سترينج ، ووضع في حسابه اننا متى أمطنا اللثام عن زيف هذه الأدلة ، فاننا لن نتوقع ان يتكرر نفس الشيء فيما يقدم اليك من أدلة ضد اودري سترينج .. والواقع ان جميع الأدلة التي ظهرت ضد اودري هي مما يمكن اصطناعه . فمن السهل جداً انتزاع مقبض بلها وسرقة قفازها ومسايقها .. وكان طبيعياً ان توجد بصمات أصابعها على الشريط الطبي اللاصق الذي تستعمله .

ثم جاء الدليل الدامغ الأخير ، وهو اعتراف اودري نفسها .. وانا لم أكن لأصدق بعد اعترافها انها بريئة .. لولا ان لي تجربة شخصية في هذا المجال .. وعندما رأيته وسمعتها تذكرت على الفور فتاة اخرى فعلت نفس الشيء واعترفت بجرمة لم ترتكبها لقد خيل الي في تلك اللحظة ان اودري سترينج تنظر الي بعيني تلك الفتاة .

على انني ادريت واجبي كشرطي وقبضت عليها .. قبضت عليها وأنا ابتهل الى الله في سري ان يرسل معجزة تنقذ هذه السيدة المسكينة .
وجاء مستر ماكويرتر فكان هو المعجزة المنشودة ..

ونظر الى ماكويرتر وقال :

– لارجو ان تعيد رواية القصة التي رويتها لي في القصر ..
وتكلم ماكويرتر بإيجاز وذكر حادث محاولته الانتحار وكيف جاء لزيارة

المكان الذي كاد ان يشهد مصرعه .. ثم قال :
- وفي ليلة الاثنين الماضي ، كنت أقف فوق الروبة ، وكانت الساعة الحادية
عشرة تقريباً ، فحانت مني التفاته الى قصر الليدي ترسيليان ، ورأيت حبلاً
متدلياً من إحدى النوافذ ، ورجلاً يتسلق الجدار مستعيناً بهذا الحبل .

فقال باتل :

- ان الجدار الذي تسلقه الرجل يطل على النهر .. ولم تكن هناك
قوارب .. ومعنى هذا ان الرجل لا بد ان يكون قد عبر النهر سباحة .
ونحن نعلم ان شخصاً كان على الضفة الأخرى للنهر في تلك الليلة .. شخصاً
لم يره أحد فيما بين الساعة العاشرة والنصف والساعة الحادية عشرة والربع ..
وربما كان لهذا الشخص صديق في القصر ادلى اليه الحبل .. اظن ان ذلك
واضح ومفهوم يا مستر لاتيمر .

فصاح لاتيمر :

- ولكنني لا اعرف السباحة .. الجميع هنا يعلمون ذلك .
فصرخت كاي في هلع :
- أحقاً ؟

- ومشى باتل ببطء حيث كان لاتيمر يقف عند حافة الزورق ، وبحركة
فجائية .. قذف به الى الماء ..

- يا الهي ! انه حقاً لا يعرف السباحة ..
وأتى نيفيل بحركة كأنما ليقتذف بنفسه الى الماء لينقذ لاتيمر .. ولكن
باتل أمسك بساعده بقوة وقال في هدوء :

- لا ضرورة لذلك يا مستر سترينج .. ان رجالي سينقذونه ..
واطل الى الماء واستطرد قائلاً بعد لحظة :
- نعم .. انه لا يعرف السباحة .. وسوف اعتذر اليه .. والواقع انه لا
توجد وسيلة لاختبار قدرة الشخص على السباحة افضل من القائه في الماء .

هذا عن مستر لاتيمر .. اما مستر توماس رويد فإنه بطبيعة الحال لا يستطيع ان يتسلق الجبل والسباحة أصابة ساقه ..

وهكذا لا يبقى الآن امامنا سواك يا مستر سترينج .. انك رجل مجيد لعب التنس والجولف والسباحة وتسلق الجبال .

صحيح انك استقلت زورق العبور في الساعة العاشرة والنصف ، ولكن لا احد رآك في فندق (ايسترهيد) قبل الساعة الحادية عشرة والربع . فضحك نيفيل وقال :

— هل تعتقد انني عبرت النهر سباحة وتسلقت الجدار مستعيناً بالجبل ...

— مستعيناً بالجبل الذي ادليته بنفسك من نافذة غرفتك ..

— ثم قتلت الليدي ترسليان وعبرت النهر مرة أخرى ؟ ولماذا افعل ذلك

بحق السماء ؟ ومن الذي اصطنع كل هذه الأدلة ضدي ؟ هل توعم انني اصطنعتها بنفسي ؟

— تماماً .. وهي فكرة رائعة .

— وماذا يدعوني الى قتل الليدي ترسليان ؟

— لا شيء . ولكنك كنت تريد شق المرأة التي هجرتك الى احضان

رجل آخر .. انك تختل الشعور منذ كنت طفلاً . لقد فحصت بنفسك ملف

قضية القوس والسهم . وعرفت حقائق كثيرة .. منها انك لا تطبق الاهانة

او الايذاء . وان عقوبة الاهانة والايذاء عندك هي الموت . ولكن الموت

وحده لم يكن كافياً لأودري .. اودري التي أحببتها قبل ان يتحول حبك الى

كراهية .. ولذلك فكرت في ان تهيب لها ميتة خاصة .. ولم يهلك في سبيل

تنفيذ هذه الفكرة ان تقتل المرأة التي كانت لك بمثابة الأم .

فقال نيفيل في هدوء :

— كذب .. كل هذا كذب .. انني لست مجنوناً .

— انها طمعت كبريائك في الصميم حين هجرتك من أجل رجل آخر ..

ولكنك حاولت ان تنفذ ما يمكن اتقاذه من كبرياتك فزعمت امام الناس انك انت الذي هجرتها ، واقترنت بامرأة أخرى ، وبدأت تخطط للقضاء عليها ولم تجد لها عقاباً أسوأ من الشنق ..

وكانت خطة رائعة .. ولكنك لم تحسن تنفيذها كما ينبغي . ولا بد ان اودري احسب منذ البداية بما تضرر لها . وانها كانت تضحك في سرها من سذاجتك . .

فصاح نيفيل :

- اني لست ساذجاً . انت نفسك قلت انها كانت خطة بارعة . ولكن من كان يتوقع ان يراني ذلك الوغد الاسكتلندي . او ان يكون توماس رويد على علم بحقيقة ما حدث بين اودري وادريان .. اودري لعنها الله .. يجب ان تشنق .. اشنقوها .. اني امقتها واريدها ان تموت . ودفن وجهه بين كفيه .. وراح يبكي كالأطفال .

- تمت -

